

أَسْرُ الْمَفَاهِيمِ
الْأَقْصَى فِي الْأَسْلَافِ

تأليف
د/عبد الوكيل عبد الرحمن خضر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يحقق سلامة الحركة ، ويحل الخلافات التجارية حسبما تمليه
شريعة الاسلام ، يضمن الوفاء بالعقود ، ويزيل كافة صور الغش ،
وينأى عن الظلم والتبذير ... ويحكم الضمير .. ويلغى كل ما ينتج
عن الرهن .. ويقضى على الطمع والأنانية ..

وفي الفصل الأول أيضا توصلت إلى (حقيقة هامة) هي أنه في
الوقت الذى انشغلت فيه عبقرية الكتاب الغربيين بمحاولة اقناع
مجتمعاتهم بضرورة تملك المجتمع لمصادر الثروة ، كانت تلك المسألة
من المفاهيم البديهية في الفكر الاقتصادى الاسلامى .

وفي الفصل الثانى من هذا الكتاب شرحت بالتفصيل كيف
يكون الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية حسب المفهوم
الاسلامى ... وبينت أن للإنسان الحق - بوصفه فى الأرض
خليفة - حق استخدام الأرض فى الزراعة والصناعة والرعى شريطة
مراعاة مصالح الجماعة ، وأن للإنسان الحق فى دخل الأرض
(مادام) يفلحها أو يديرها مباشرة مع عدم اغفال (الزكاة)
باعتبارها حق للفقراء فى مال الأغنياء ، وليست صدقة ... ولكنها
نظام تقوم عليه مبادئ التكافل الاجتماعى فى الإسلام .. ﴿كُلُوا مِنْ
ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(١) .. وشرحت متى يكون
للحاكم حق التدخل لايقاف استفحال سوء استخدام الانسان
للأرض حسبما تمليه المصلحة العليا للمجتمع .

وفي الفصل الثالث كان حديثى عن « ملامح التنمية الاقتصادية
فى الاسلام » وقد حرصت أثناء الشرح والتحليل على اثبات أن

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤١ .

المقدمة

لقد جاءت المفاهيم الإسلامية للاقتصاد والمعاملات نموذجاً رائعاً يحقق التوازن بين الروح والمادة في وقت واحد ، بحيث يرسم ذلك توازناً للمجتمع الإسلامي في كيانه الإقتصادي ، علاوة على توازنه في كل الجوانب الأخرى .

وإني في هذا الكتاب المتواضع أقدم لجمهور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ما يثبت للبشرية جمعاء أن أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام قد رُسمت من روح القرآن الكريم والسنة الشريفة ... ولذا فهي تلتقي في تكامل تام مع الدين والأخلاق ، وتنسق مع السياسة والقانون والمجتمع ... ويتضح ذلك بجلاء في الفصل الأول من هذا الكتاب حيث تناولت فيه : الإطار القانوني والاجتماعي والسياسي للنظام الاقتصادي في الإسلام ... وفي هذا الإطار بينت أن المفاهيم الاقتصادية في الإسلام بامتراجها بالقيم الخلقية قد قللت من مسئولية تدخل القانون وحققت استثمار المال في القنوات المشروعة للإستثمار بدون عدوان على المجتمع ... كما وضحت أن المفاهيم الاقتصادية في الإسلام قد ربطت بين الإقتصاد والسياسة والأخلاق في « دائرة التكامل الشامل الوسط » الذي

وبذلك لا يكون (معبودا) وإنما يكون مسخرا لخدمة الانسان .
وبينت أن النظام الاقتصادي في الإسلام يقر حق الملكية الفردية -
بوظيفتها الاجتماعية - على أساس أنها مجرد أمانة وليست حقا
مقدسا ، وفي نفس الوقت يحرص الإسلام على وضع الأموال في
أيدي من يحسنون القيام بها ، واعتبار أن كل ثروة فردية تم تحصيلها
بطريقة شرعية ينبغي أن يفيد المجتمع كله منها . وبينت أن الإسلام
يقر مبدأ « الحرية الاقتصادية » باعتبار أن كل فرد حر في تدبير أمور
معاشه ، مع تقدير ما هو ضروري ، وما هو الكمالي ، وتأكيد
الفرص لكافة المسلمين وأعضاء المجتمع جميعا ، ومنع الاستغلال
الاقتصادي للضعفاء من جانب الأقوياء (فرد لفرد أو طبقة
لطبقة) ... وبينت أن الخلق والضمير والإيمان والوازع الشريف من
أهم أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ، وإنها (أى تلك
المفاهيم) حرصت على اقرار شريعة الله في تحريم الخمر والمسكرات
والمخدرات والمنكرات والفواحش من حيث صناعتها أو إعدادها
أو الاتجار فيها بيعا أو شراء .. كما أن (تلك المفاهيم الإسلامية) ترى
كل المكاسب التي تضر الآخرين كالرشوة والسرقة وصنوف المقامرة
وجميع المعاملات التي يشوبها الغبن والغش ، جرائم تجب المعاقبة
عليها . كما أنها ترى في احتكار الحبوب والأغذية والأمتعة ضريا من
ضروب الاحتيال ضد الأمن الغذائي للمجتمع المسلمين يجب القضاء
عليه . وأن من كان له « فضل » مال بعد استيفاء حوائجه فلينفقه في
سبيل الصالح العام ليحقق السعادة للآخرين . وبينت أن من
مميزات النظام الاقتصادي الاسلامي الاهتمام بتوزيع القوى

أُسِّسَ المفاهيم الاقتصادية في الإسلام حين تتخذ نِظَامِيَّ الزكاة والميراث عاملين هامين في إعادة توزيع الثروة ونقلها بين أفراد المجتمع إنما تهدف إلى تحقيق النمو الاقتصادي لمجتمع المسلمين واعطاء أفرادها فرصة الأمن الإستثماري ، والاندفاع في تشييد المشروعات الانمائية دون خشية الفشل أو الفقر أو الطوارئ فالتنمية في الإسلام لها خزانة مشتركة ضد الكوارث والطوارئ والفقر.

وفي الفصل الرابع تحدثت عن « مبادئ المعاملات الاقتصادية في الاسلام » وحرصت كل الحرص على التنبيه إلى أن المفاهيم الاقتصادية في الاسلام (تحرم تحريما قاطعا) اعطاء أو أخذ أى فائدة على رأس المال « المقرض » مهما كانت نسبة الفائدة صغيرة ، كما تحرم تحريما كاملا كل أشكال « المقامرة » بما في ذلك المقامرة التجارية ، والأخذ في الاعتبار تحريم الاحتكار ، وجمع البضائع في السوق بقصد التحكم في أسعارها ، وإعلان الحرب على أكل أموال الناس بالباطل . وضرورة ابقاء الكيل والميزان بالقسط ، ومعارضة « التطفيف » في كافة أعمال الوساطة في اطار أن الله أحل البيع وحرّم الربا تحريما قاطعا لا شبهة فيه .. وأمر بالحد من أرباح الوساطة . وأن المال وظيفة اجتماعية غير فردية ، وأنه لا يقصد لذاته وإنما لأداء خدمات اجتماعية عن طريقه . مع ضرورة استثمار فضول الأموال بالانفاق حتى يكون المال دائما في حركة دوران .

وفي الفصل الخامس تناولت مميزات النظام الاقتصادي الإسلامى مؤكدا أنه حرم الربا وأقر الزكاة للحيلولة دون اكتناز المال والعمل على حسن استخدامه بحيث يصير وسيلة انتاج وتنمية وتعمير

للتصدير لأوروبا ، وشرحت فضل المسلمين على الغرب في مجال تطوير الأساليب الزراعية والتعرف على طرق زيادة الغلة المحصولية ومقاومة الآفات وتسميد التربة وإقامة السدود وشق الترع وتحسين وسائل الصف وحماية البيئة . وشرحت موارد الثروة المعدنية عند المسلمين في تلك الحقبة الزاهرة ومدى تقدمهم في مجالات التعدين والصناعة ، كما شرحت أُسُسَ التبادل التجاري عند المسلمين ، وامتلاكهم لكل شرايين التجارة وفن المواصلات وركوب البحر وتخزين السلع وأُسُسَ إبرام الاتفاقيات الاقتصادية مع العالم المعروف آنذاك .

وفي الفصل الثامن تحدثت عن التكامل الاقتصادي في المفهوم الاسلامي مبينا ضرورة تضامن المسلمين وتأزرهم في المجال الاقتصادي : الزراعي والصناعي والتجاري حتى يعودوا خير أمة أُخْرِجَت للناس كما كانوا ..

وأوجه إلى الله سبحانه وتعالى أن يلهم قادة المسلمين جميعا إلى تطبيق ما جاء في أُسُسَ المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ... لتكون لهم القوة والعزة والمنعة إذ لا قوة ولا عزة ولا منعة للمسلمين في ظل الاقتصاد يقوم على مفاهيم لا تعمل بشريعة الله ولا بسنة رسوله الكريم ولا قوة ولا عزة ولا منعة لهم في ظل اقتصاديات مهلهلة مبعثرة لا رابط بينها ولا تكامل .. وأحسن خاتمة لمقدمتي دعاء الله تعالى من قرآنه الكريم :

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

الاستثمارية على مصادر الثروة دون تركيزها في تملك الأرض الزراعية وحدها مع الدعوة أيضا إلى احياء الأرض الموات « من أحيأ أرضا مواتاً فهو أحق بها » ...

وبينت أيضا أن النظام الاقتصادي الاسلامي أرق وأجدي وأثبت تجربة تمت عند البشر لتحقيق العدالة بين الناس وضمان نصيب لائق وكريم من الحياة لكل فرد . وكيف لا ؟ وهو يبيح لكل فرد أن يكسب بقدر اجتهاده في عمله ، ويفرض حدا أعلى من الدخل ليحول دون تفاقم الطبقات الاجتماعية ، وليعمل كصمام أمن ضد تركيز الدخل والثروات في أيدي أفراد قلائل ؟ ... وكيف لا والنظام الاقتصادي في الاسلام يهدف إلى إقامة مجتمع « لا طبق » يضع فيه الأفراد في درجات اقتصادية تبعا لعملهم ، وقدراتهم داخل إطار (الحد الأدنى والحد الأعلى للمعيشة الكريمة) ؟ ..

وفي الفصل السادس تناولت بالشرح التفصيلي أثر المفاهيم الاسلامية في التطبيق الاقتصادي بالعالم الأوربي ، وبينت كيف اعتمدت كل المدارس الاقتصادية في أوروبا على المفاهيم الإسلامية ، وكيف اقتبس مفكرو الغرب من رجال الاقتصادية الاسلامي في كتاباتهم .

وفي الفصل السابع شرحت مقومات النشاط الاقتصادي في التراث الاسلامي ودور الزراعة في بلدان العالم الاسلامي (فيما بين القرنين الأول والخامس الهجريين) في انعاش اقتصاديات المسلمين وتوفير احتياجاتهم وتحقيق اكتفاء ذاتي لهم علاوة على ما كان يتبقى

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ
وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ^(١)

[صدق الله العظيم]

د. عبد العليم عبد الرحمن خضر

مسترس - منوفية

في العاشر من رمضان عام ١٤٠١ هـ

(١) سورة آل عمران ، الآيات ٨ - ١٠ .

جاءت الشريعة الإسلامية متميزة على غيرها بالشمول في مبادئها ، وصلاحها لكل البشر على مر السنين والأعوام وتعاقب الأجيال . وكيف لا وقد استقت أسسها ومبادئها من الأقوال الأساسية والخالدة المنزلة من الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد (ﷺ) في القرآن الكريم ذلك المصدر الأصلي للشريعة الإسلامية الذي وجهت منه تعاليم الإسلام للعالم أجمع ، ليصل إلى كافة العقول من خلال تعبيره بالرمز والتمثيل والتعليل والمنطق ، والملاحظة ودراسة ظواهر الطبيعة والقوانين الطبيعية والأخلاقية والروحية وضوابط استخدام الانسان للأرض .

ومن يقل بأن القرآن جاء أساسا لينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه وليس للعلاقة بينه وبين غيره من أفراد جماعته في شتى شؤون المعاملات الاقتصادية ، فإنما يكون قد أخطأ خطأ رهيبا ... ومن الذين أخطأوا البروفيسور ن . ح . كولسن .. حين تصور ذلك فأين وجه الخطأ ؟

يتمثل الخطأ الذي وقع فيه البروفيسور « كولسن » وغيره ... في تصورهم أن القرآن دستور الإسلام - اهتم بالجانب العقائدى على حساب الجانب الحضارى والاقتصادى في حياة البشر ... وهذا التصور الخاطئ يكشف عن حقيقة جهلهم بروح الشريعة الإسلامية

الفصل الأول
الإطار القانوني والاجتماعي والسياسي
للنظام الإقتصادي في الإسلام

القرآن الكريم يمثل الدستور الذى اشتمل على المبادئ الأساسية ، ووجه الأنظار إلى الصفات الإلهية وإعجازها فإن السنة المحمدية تمثل التفسير المثالى السليم لجزئيات الشريعة الإسلامية ^(١) ، ويمثل الاجماع مصدرا ثالثا من مصادر هذه الشريعة السمحة ، وجاء الاجتهاد والقياس ليضيفا إلى الشريعة الإسلامية عمقا واستمرارية انفردت بهما على غيرها من الشرائع ^(٢) .

والنظام الاقتصادى الاسلامى جزء من تلك الشريعة السمحة التى جمعت كل جوانب العقائد والعبادات والأخلاق والأعمال وجاء الإسلام مشتملا - فى شريعته الغراء - على مجموعة من القواعد والضوابط والأسُس التى ترسم الإطار القانونى والاجتماعى والسياسى للنظام الاقتصادى .

ويمكن تلخيص ذلك فى الآتى :

١ - ضوابط المسار الاقتصادى :

سمحت الشريعة الإسلامية للفرد والجماعة بتملك الانتاج ^(٣)

-
- (١) السنة بمعناها اللغوى هى «طريق» عرف ، «عادة» .. وهى تعنى فى محيط القوانين الإسلامية سلوك النبى (ﷺ) النموذجى والذى يستند إلى حد كبير على السلوك القياسى للجماعة الإسلامية الأولى . وقد أصبح مفهوم السنة يحكم الظروف يعنى القاموس أو التقليد الحى فى كل جيل أتى بعد ذلك .
- (٢) يرى علماء الفقه أن الاجماع هو المصدر الثالث من مصادر الشريعة الإسلامية فهو اتفاق الأمة أو اتفاق فقهاء الدين على أمر من الأمور .
- (٣) يقصد بعناصر الانتاج "Factors of Production" تلك القوى الانتاجية المختلفة التى تتضافر فى إنتاج سلعة أو خدمة ما ، وعادة ما تجمع فى مجموعات ثلاث =

ممثلة في دستورها الأول : « القرآن الكريم » ، الذي يهدف قبل كل شيء إلى (الموازنة) بين المتطلبات الروحية والمادية للحياة ^(١) .. والمتطلبات الروحية كانت غنية في أصولها وفروعها لثبوت العقيدة في المرحلة الأولى من البعثة المحمدية في مكة ... ويعكس النمط العقائدي والروحي للآيات المكية ما يدعم ذلك ... ثم تأتي المتطلبات المادية للحياة في أحسن صورها ممثلة في الآيات التي نزلت على محمد عليه الصلاة والسلام بالمدينة ... جاءت لتشكّل أعظم دستور سماوى لأهل الأرض ... يضمن لهم حياة سليمة متحضرة ، في ظل قوانين رائعة تنظم مسائل الحرب والسلام ، والاقتصاد ، والموارث ، وأحكام الزواج والطلاق ، وعقوبات السرقة والزنا ، والقتل ...

فمن ذا الذى يدعى الآن أن القرآن يدعو فقط إلى إيجاد صلة بالله ؟

ومن ذا الذى يدعى أن القرآن لم يشرح أبداً ما تحتاجه مقتضيات الحياة الاجتماعية ؟

ومن ذا الذى ينكر أن القرآن أكد على الروابط الأخلاقية الضرورية للسلوك الاقتصادى للشعوب الإسلامية ولل فرد المسلم ؟ إن الشريعة الإسلامية كما رأينا قد جاءت متميزة على غيرها بالشمول والصلاحيّة لكل البشر وعبر جميع العصور ، وإذا كان

(١) م. ا. منان - الاقتصاد الإسلامى بين النظرية والتطبيق - ترجمة د. منصور التركى - المكتب المصرى الحديث - من صفحة ٢٥ - ٢٧ .

حماية الضعفاء وتجعل لهم حقا معلوما في أموال الأغنياء ،
فتستلزم لذلك مبدأ التكافل الاجتماعي ^(١) ... وفي ذلك جاء قوله
سبحانه وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ^(٢)
وقوله تعالى : ...

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ ^(٣)
وقوله تعالى ..

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ
قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ،
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٤)

من هذا المنطلق الإسلامى يكون نشاط الفرد نافعا له
ولمجتمعه ، ولا يتعارض مع احتياجات المجتمع ولا أهدافه ، كما أن
الإسلام ضمن للفرد نقل ثمار نشاطه لورثته من بعده حتى يكون
ذلك حافزا ودافعا للنشاط الاقتصادى مادامت ثمرته مصانة للفرد
ولمن يعول في حياته وبعد مماته .

وعلى ذلك نقول إن المسار الاقتصادى الإسلامى يحترم الملكية
الخاصة باعتبارها حقا غير مطلق ، إذ أنها وظيفة اجتماعية ، يجب
أن تستخدم في خدمة أصحابها وفي خدمة الجماعة أيضا ، أى دون
الاضرار بمصلحة الغير أو بمصلحة الجماعة ، وذلك نزولا على مبدأ

(١) د. رفعت المحجوب - دراسات اقتصادية إسلامية - مطبعة المدنى - ص ١٣ و ١٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٣٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

(٤) التوبة ، الآية ٦٠ .

وكفلت لكل مسلم حرية المعاملات الاقتصادية من عمل وإنتاج وتبادل وتعاقد وتصرف واستهلاك على أن كل ذلك في حدود الضوابط التي رسمتها الشريعة الإسلامية بما يجمع بين مصلحة الفرد والمجتمع ويحقق الاستخدام الأمثل لموارد المسلمين من أرض ومياه وغابات وثروات زراعية وصناعية ورعوية ، ويضمن أن تسير كل المعاملات الاقتصادية متوافقة مع الاحتياجات المتطورة والظروف المختلفة .

وفي ظل تلك الضوابط يكون غرض النظام الاقتصادي في الاسلام تحقيق مصلحة المسلمين (مع احترام حقوق أهل الذمة في دار الإسلام) أفراداً وجماعة ، وبذلك يحصل الجميع على « ربح عادل » « وأجر عادل » و « ثمن عادل » ... وإذا كانت مصلحة المسلمين تنكر استغلال الضعفاء ، وتتطلب لذلك « الثمن العادل .. و « الأجر العادل » .. و « الربح العادل » فإنها تستلزم فوق ذلك

= رئيسية : العمل - رأس المال - الأرض . على أساس أن العمل يمثل العنصر الذي يعبر عن العمل الفعلي المبذول ، سواء كان عملاً جسدياً أم ذهنياً ، أما رأس المال فهو الناتج من استثمار المدخرات في الآلات والمعدات وغيرها من الأصول الثابتة التي تمثل كل أنواع الطاقات الانتاجية في المجتمع ، وأما الأرض فهي تمثل كل ما على سطح الأرض أو في باطنها من موارد طبيعية ، أي الموارد التي يهبها لنا الله في الأرض .

- ويضيف بعض العلماء عنصر التنظيم ... ويتمثل في الخدمات التنظيمية التي تجمع العوامل الثلاثة الأخرى سوياً .

- انظر في ذلك : د . حسين عمر - موسوعة المصطلحات الاقتصادية مكتبة القاهرة الحديثة - سنة ١٩٦٧ . ص ٢٠٦ .

- وكذلك :

Ballassa, B., 1961: The theory of Economic Integration, Hoom wood Richard . D. Irvin, Inc., pp. 18-30.

هدفا غير مباشر وإذا كان النظام الشيوعي يهدف الى تحقيق اشباع الحاجات ، ويجعل بذلك من مصلحة الجماعة هدفا مباشرا ومن مصلحة الفرد هدفا غير مباشر... فإن النظام الإسلامى يقوم ابتداء على تحقيق مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة ، ويجعل من كل منهما هدفا مباشرا ، ذلك أن المبدأ الإسلامى مبدأ (وسط) ^(١) .. يحرص على مصلحة الفرد وعلى مصلحة الجماعة فى آن واحد ، وعلى إقامة التوازن بينهما كما أنه لا يذهب - على العكس من النظام الرأسمالى - إلى افتراض الانسجام التلقائى بينهما ، بل يتطلب لذلك تدخل الدولة لتضع الضوابط الإسلامية لضمان سلامة المسار الاقتصادى لدولة الاسلام ..

٢- مبدأ المشروعية ، أى مبدأ الحلال والحرام .

النشاط الاقتصادى مشروع فى الاسلام على أن تكون كل معاملاته فى دائرة (الحلال) الذى تسمح به نصوص القرآن والسنة ... فالتجارة مثلا من أسباب الكسب الطيب الحلال فى الاسلام وفق ضوابط محددة وقد وضع الفقهاء فى بحوث الشريعة أسبابا رئيسية أخرى للكسب الحلال منها العمل الذهنى والفكرى ، والعمل اليدوى والحرفى والاستصناع ، والصناعة بأنواعها ، والزراعة واستصلاح الأراضي لزراعتها وإحياء الأرض الموات ، والصيد والاحتطاب والاستخراج من باطن الأرض .. وحدد

(١) محمد عبد المنعم خفاجى - الإسلام ونظريته الاقتصادية - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ص ٣٩ : ٥١ .

« لا ضرر ولا ضرار » .. ويمكن أن نرد حقيقة الملكية هذه إلى أن المال مال الله وأنتا مستخلفون عليه ^(١) .

من هنا امتاز النظام الاقتصادى الاسلامى على النظام الرأسمالى ، فالقوانين فى النظام الفردى الرأسمالى تقوم على تحكيم المصلحة الخاصة والمنافسة ^(٢) ، وبالتالي تساعد على الانطلاق فى حرية الاستغلال والملكية ، ومن ثم لا يوفر ذلك النظام أى تكافل اجتماعى أو اهتمام بمصلحة الجماعة ... بل ينفصل كل فرد بمصلحته الشخصية وحقوقه المنطلقة .. وتكون وظيفة الدولة - والحالة هذه - هى (مجرد تأمين) المصالح الفردية دون أن تتمكن من منع تضاربيها .

.. والنظام الرأسمالى فى ظل تلك المفاهيم الغربية ، يسمح باستغلال القوى للضعيف ، لأن المساواة الاقتصادية - بل القانونية - غير مأخوذة فى الاعتبار على الاطلاق ^(٣) ... وإذا كان النظام الرأسمالى يهدف إلى تحقيق أكبر ربح ممكن ، ويجعل بذلك من مصلحة الفرد هدفاً مباشراً ، ومن مصلحة الجماعة

(١) د. رفعت المحجوب - المرجع السابق - ص ١٢ .

(٢) المنافسة « Competition » نظام من العلاقات الاقتصادية ينضوى تحته عدد من المشترين والبائعين ، وكل منهم يتصرف مستقلاً عن الآخرين للبلوغ بربحه إلى الحد الأقصى - نظام لا تخضع فيه الأسعار إلا لتفاعل قوى اقتصادية متحررة من أى قيد يفرض عليها ، وهذه هى قوى العرض والطلب .
انظر تلك :

- Karuse, L.B., 1964: The common Market Progress and controversy, 3rd., Prentice - Hall, Inc. Englewood Cliffs, pp. 3-17.

(٣) ولیم لوکس هارفى - النظم الاقتصادية المقارنة - سلسلة اخترننا لك - رقم ١٩ - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ص ٦٧ : ص ٨٣ .

الإسلام على إعادة توزيع الثروة لصالح الفقراء ... وقد تقرر هذا المبدأ عندما هاجر المهاجرون مع النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ... وتركوا أموالهم خلفهم ... وعاشوا حياة اقتصادية أدنى من مستوى أهل المدينة رغم كرم الأنصار وتكريمهم للمهاجرين . ولذلك حينما انتصر المسلمون في موقعة (بنى النضير) .. وزع الرسول مكاسب النصر السلمي للمهاجرين وحدهم عدا رجلين فقيرين من الأنصار وذلك لإعادة التوازن في مستويات الملكية والدخل بين جماعات المسلمين ^(١) .

وفي ذلك جاء قوله سبحانه وتعالى

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ^(٢) .

٤ - تدخل الدولة عند الضرورة

أجاز الإسلام للدولة حق التدخل في استخدام الموارد المتاحة ، بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَوَلُّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا

(١) د. علي عبد الرسول - المبادئ الاقتصادية في الإسلام - دار الفكر العربي - ص ١٦٨ .

(٢) سورة الحشر ، الآيتان ٧ و ٨ .

علماء الفقه في ذلك الإطار ما يمكن انتاجه وما لا يمكن إنتاجه ، وما يمكن إشباعه وما لا يمكن إشباعه من الحاجات .

ولا شك أن جميع الأنشطة الاقتصادية التي ألحنا إلى بعض منها على سبيل المثال هي من الأنشطة المشروعة في نظر الفقه الاسلامي طالما أنها لا تتناول سلعة محرمة وأنها تباشر في إطار مبادئ الشريعة بعيدة كل البعد عن ضروب أكل أموال الناس بالباطل التي يحظرها الإسلام ...

كما أن كل طريقة لتناول الأموال بين الناس لم يأذن بها الله أو نهى عنها هي من المحظورات في النظام الإسلامي ... من ذلك مثلا الغش والرشوة والقيار واحتكار الضروريات لاغلائها ، وجميع أنواع البيوع المحرمة ، والربا في مقدمتها ، إذا أن جميع هذه الطرق تقوم على فساد في الضمير والوجدان . وفي الترهيب من أكل السحت والمال الحرام قال عليه الصلاة والسلام :

« لَا يَرُبُّ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أُولَى بِهِ » ...

٣- إعادة التوزيع للدخل القومي^(١)

تحقيقاً لمبدأ حماية مصلحة الجماعة حرص النظام الاقتصادي في

(١) الدخل القومي National Income هو اجمالي كل الدخل المكتسبة من انتاج السلع والخدمات في الدولة خلال سنة ، بما في ذلك صافي الدخل من الخارج . وهناك أربع أفكار رئيسية في هذا الصدد : (١) الدخل القومي بتكلفة عوامل الانتاج والدخل القومي بأسعار السوق . ويعمل الناتج القومي Gross National Income وصافي الناتج القومي . (انظر : د. حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٢٦) .

٥ - ترشيد الاستثمار بما يحقق الضمان الاجتماعي

لاشك أن النظام الاسلامي نظام وسط ، فلا هو يسقط من حسابه الفرد ومصلحته وحرته على نحو ما يفعل النظام الشيوعي ، ولا هو يسقط من حسابه الجماعة ومصلحتها وسلطتها على نحو ما يفعل النظام الرأسمالي . وإنما يهدف دائماً لمصلحة المسلمين . ولا يمكن أن تتحقق مصلحة المسلمين إلا بالغاء الاكتناز وفرض الزكاة على الأموال المستثمرة ، وإدخال العوائد الاجتماعية إلى جانب العائد المباشر من الانتاج ... وقد جاء قوله تعالى في ترشيد الاستثمار :

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (١) ..

والآية الكريمة تشير إلى ضرورة استثمار الأموال في كافة منافع الفرد والمجتمع ، وتحذر من حبسها عن المساهمة في أداء الحقوق المفترضة على المال (٢) .

نستخلص مما سبق أن الاطار القانوني والسياسي للنظام

(١) سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ و ٣٥ .

(٢) ويقول سبحانه وتعالى في ضرورة التكافل ... ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات : الآية ١٠) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٧١) .

وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿١﴾ .

وإذا كان الإسلام قد أقر مبدأ احترام حريات الفرد فإنه أيضا جعل للدولة حق التدخل للمحافظة على مصلحة الجماعة « ومثل ذلك أن الإسلام يبيح تدخل السلطة العامة لمنع الاستغلال أى لمنع الاحتكار ، ومنع رفع الأثمان ومنع تحجير الأرض ، ومنع الضرر بصفة عامة ، ولتحقيق مصلحة الجماعة .

فقد أعطى الإسلام للدولة حق التدخل فى النشاط الاقتصادى لمنع إلحاق الضرر بالمجتمع ، ومن مسوغات تدخل الدولة وقوع الاحتكار فى قطاع السلع ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ :
(من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه) وفى رأى أن الاحتكار شرعا اشتراء الطعام ونحوه ، وحبسه إلى الغلاء أربعين يوما^(١) ... لقوله ﷺ :

« من احتكر على المسلمين أربعين يوما ضربه الله بالعُذَام والإفلاس » وفى رواية ... شهر ... وقيل أكثر

ومن هنا جاء نظام الحسبة فى الإسلام لينظم مراقبة النشاط الإقتصادى للناس وغيره كما نهى الإسلام عن كل ما يضر بالمجتمع ويمنع توظيف موارده ، أو يزيد من تكلفة الإنتاج وما يؤدى إليه ذلك من آثار ضارة على الاستهلاك والاستثمار .

(١) سورة النساء ، الآية ٥ .

(٢) قول الحصكى من الأصناف فى شرح الدر المنقى على متن المتنق - بهامش مجمع الأنهر - جزء ٢ - ص ٥٤٧ طبعة الآستانة سنة ١٣٢٧ هـ .

الاقتصادي في الاسلام يتضمن النواحي المادية والروحية والخلقية للحياة البشرية ، وهو إطار يرسم للمسلمين طريقة خاصة في الحياة ، فهو يفرض عليهم حياة إسلامية مصبوعة بصبغة الله التي فطر الناس عليها ، ويقدم لهم مجموعة المفاهيم عن الحياة الدنيا ، وسبل الفوز في الإخوة .

إن ذلك الإطار الاسلامي يهدف إلى إشباع حاجات الإنسان الروحية والمادية ابتغاء المحافظة على حياته وعلى سلامة جميع أعضائه وعلى قوة روحه ، وصفاء ذهنه ، ونقاء قلبه ، وطهارة نفسه ، واستقامة فكره وسلوكه وصحة عقيدته ، وزيادة إنتاجيته ماديا ومعنويا حتى يسعد في الحياة الأولى والثانية ... وكما شمل ذلك الإطار الاسلامي وسائل إشباع حاجات الإنسان ، فإنه شمل أيضا مكارم الأخلاق ، حرصا على تكوين الثروات المعنوية وتحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين حتى يظلوا خير أمة أخرجت للناس .

١ - في المجال الزراعي :

ترفض الشريعة الإسلامية تعطيل «الموارد» كما ترفض تبديدها ، فيقول الرسول ﷺ :
« لَيْسَ لِمُحْتَجِرٍ حَقٌّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ »

وقد طبق الخليفة عمر بن الخطاب مبدأ (عدم تعطيل الموارد) في المجال الزراعي ، إذ يقال أنه استعاد بعض الأراضي التي أعطاه الرسول ﷺ إلى « بلاب بن الحارث » لأنه لم يشغل جميع الأراضي التي أعطاه له الرسول ﷺ ، وبذلك وجه الاهتمام والتشجيع إلى زراعة الأرض البور^(١) .

ولاشك أن الأرض الزراعية تعتبر من أهم موارد الثروة الاقتصادية حتى يومنا هذا ، وهي من هبات الخالق جل شأنه إلى البشر ، ونحن البشر نحوزها لتؤدي ما أودع الله فيها من منافع ولنستفيد من خيرها ، ولنشيع ذلك بين العباد أما أن نحوز (الأرض) لنمنع الناس ما تخرجه من خير ، فذلك مخالف لشريعة الإسلام ومنطق البديهة وصراح الحق والعدل^(٢) .
والإسلام لكي يتحقق الاستخدام الأمثل للموارد

(١) م. ١. منان - المرجع السابق - ص ٩٤ .

(٢) محمود أبو السعود - الإصلاح الزراعي في البلاد الإسلامية - المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول - الرياض - ص ١٨ .

الفصل الثانى
الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية
حسب المفهوم الإسلامى

جرى عليها ملك أحد ، فلم يظهر فيها تأثير شئ من إحاطة أو زرع أو عمارة أو نحو ذلك ... ولا يوجد من يملكها ، وإحيائها هو : جعلها صالحة للانتفاع .

وقال ﷺ :

(مَنْ عَمَّرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا)

ومما لا شك فيه أنه إذا ما طبقت تلك المبادئ السامية ، فإن النتيجة حتما تكون زيادة الإنتاج الزراعى نتيجة لاتساع الرقعة الزراعية وتحل بذلك مشكلة الأمن الغذائى التى تقف عقبة أمام دول العالم الإسلامى .

وقد روى عن جابر بن عبد الله ، وأبى هريرة ، ورافع ابن خديج ، وعبد الله ابن عمر وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم من أن رسول الله ﷺ حرم كراء الأرض يجعل ثابت ... وهذا يتمشى مع حكمة الشريعة الإسلامية ويتفق مع فلسفة أحكامها ، إذ لا يقبل منصف أن يعهد المالك لأرض إلى غيره بالفلاحة ، ويشترط لنفسه غنما دون غرم ، فيقتضى أن يدفع الفلاح كراء قل أم كثر ، وساء توافر المحصول أم انعدم ، إذ يكون مثله كمثل من

= بيت مال المسلمين : من المشركين أو المرتدين . أو ممن لا وارث لهم « فبيت مال المسلمين وارثهم » ، وقد أقطع رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وغيرهما أراضى ، كما أقطع الخلفاء من بعده . وهذه الأرض المقتطعة يسرى عليها شرط الإعمار والاستثمار ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ - كما رأينا - كان قد أعطى بلال بن الحارث المزنى أرض العقيق ، ولكنه لم يستثمرها كلها . فاسترد خليفة المسلمين فيما بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما زاد عن حاجة بلال فاعطاء الدولة الإسلامية أراضيتها لأحد المسلمين مقيد ضمن حدود الإعمار والاستثمار .

الاقتصادية - أباح الملكية للرقبة ، وجعلها خاضعة للأحكام التي ترسم حدود الاستخلاف ، وهي حدود تقتضي من صاحب الأرض أن يزرعها حتى يستفيد هو ، وحتى يستفيد المجتمع الذي يعيش فيه ، وحرام عليه أن يترك الأرض دون زرع والناس في حاجة إلى إنتاجها ، وهذه الحرمة هي التي تخول لولى الأمر أن يمكن غيره من القادرين على فلاحها من استغلالها أن قصر مالكها ، تماما كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومن ثم فلاح حق لرب الأرض فيها غير حق الرقبة ^(١) .

وفي بلاد العالم الإسلامي اليوم ، ما تزال هناك مساحات شاسعة من الأراضي غير المزروعة أو المستغلة لسنوات طويلة . ويرجع ذلك إلى سوء نظام حيازة الأراضي الذي يشجع على نحو الاقطاعات أو ماشابهها .

ولما كان عدم استغلال الممتلكات يعتبر تبديدا للثروة الفردية والقومية ، الحيازات غير المستغلة تعويضا عن نزع ملكيتها إذا كان الحصول عليها قد تم بطرق مشروعة أصلا ...

وفي الإسلام تتحقق ملكية الأرض بالشراء والإرث والإحياء والتَّحْجِير ^(٢) والإِقْطَاع ^(٣) يقول ﷺ فيما ثبت عنه : (من أحيا أرضا ميتة فهي له) ... والأرض الميتة هي الأرض التي لم يظهر أنه

(١) يتمثل حق (الرقبة) في حق البيع والرهن والهبة ، وما إلى ذلك من تصرفات تتعلق بالحيازة دون أن تمس ما زرعه غيره فيها . (انظر المرجع السابق - ص ٢١) .

(٢) التحجير هو : تحويط أرض للانتفاع بها ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أحاط حائطا على أرض فهي له » .

(٣) الإقطاع هو : توزيع بعض الأراضي التي لا مالك لها ولا وارث ، مما آلت إلى =

« من كان له فضل أرض فليزرعها أو ليزرعها أخاه ولا تبيعوها » فقلت لسعيد (هو سعيد بن ميناء) ما قوله ولا تبيعوها : يعنى الكراء ؟ قال نعم ^(١)
 - كنا نخابر ^(٢) على عهد رسول الله (ﷺ) فنصيب من القصرى ^(٣)

- ومن كذا ... فقال رسول الله (ﷺ) « من كانت له أرض فليزرعها أو فليحرقها أخاه وإلا فليبدعها » ^(٤) .
 - أنه سمع رسول الله (ﷺ) ينهى عن المزابنة والحقول . فقال جابر : المزابنة بيع الثمر بالثمر والحقول كراء الأرض .
 - عن أبي هريرة :

قال رسول الله (ﷺ) : « من كانت له أرض فليزرعها أو فليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه » ^(٥) .

- عن أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع أن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أخبره أن النبي (ﷺ) ، عامل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع فكان يعطى أزواجه مائة وسق : ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير . فقسم عمر خيبر فخير أزواج النبي (ﷺ) أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضى لهن ، فنهى عن اختار الأرض ، ومنهن من اختار الوسق . وكانت عائشة اختارت

-
- (١) صحيح مسلم - ج ٥ - ص ١٩ - طبعة المكتب التجارى للطباعة ببيروت .
 (٢) المخابرة والمزارعة مترادفان معنى واشتقاقاً .
 (٣) القصارة : ما بقى من الحب فى سنبله بعد الدياس .
 (٤) صحيح مسلم - المرجع السابق - ص ٢٠ .
 (٥) متفق عليه واللفظ لمسلم - ج ٥ - ص ٢١ .

أقرض مالا لأخيه ، واقتضاه « فائدة » علاوة على أصل ما أقرض ، فالفائدة ربا ، والكراء يجعل ثابت أشبه ما يكون به ^(١) ...

وبديهي أن الإسلام حين يحرم الكراء يجعل ثابت ، إنما يرسم للناس سبيل استغلال الأرض الزراعية الأمثل ، فمن كانت له أرض فليزرعها أو يئمنحها أخاه ، وبذلك تنعدم طبقة الملاك الذين يعيشون على الكراء (الإيجار) فيسكون الحضر ، وتفسدهم البطالة ، وهذا يتفق الظلم ، كما أن ذلك المبدأ الإسلامى العظيم يحول دون شراء الأرض الزراعية إلا لمن له المام بالزراعة ، ومن يقبل تحمل مخاطرها ، ومن ثم نجد أعدادا غفيرة من أصحاب الأراضي الزراعية المقيمين في المدن والمشتغلين بغير الزراعة في بيع أراضيهم إلى الفلاحين الراغبين في الحرث والاستثمار الزراعى ، وبهذا تكبر المساحة التى تخص الفلاح الواحد مما يعنيه على التوسع الزراعى واستعمال الفنون الحديثة والآلات فى الزراعة .

ولا شك أن مثل هذه التطور فى استخدام الأرض يؤدى إلى زيادة الإصلاح الزراعى وزيادة دخل المزارعين ، ونمو معنى التكافل والعدل والمساواة فى المجتمع المسلم .

وقد اهتم الرسول الكريم بالأساليب الزراعية التى تحقق الانتفاع الأمثل بالأرض ، ووردت فى ذلك أحاديث شريفة تذكركم منها على سبيل المثال : — عن جابر بن عبد الله :

(١) محمود أبو السعود - المرجع السابق - ص ٢٠ .

المعدنية ... رغم أنه لا يوجد ما يثبت أن الإسلام لا يقر هذا التعريف للاقتصاديات المعاصرة فإن الإسلام يعترف (بإيجاد) المنافع التي يمكن أن تحقق الحد الأمثل من الرفاهية الاقتصادية لجماعة المسلمين ، تلك الرفاهية التي تأخذ في الحسبان المبادئ الأساسية للأخلاقيات الاقتصادية الإسلامية . ولا شك أن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ صريحة وواضحة في هذا المجال ، فطرق استغلال الأرض كعنصر من عناصر الإنتاج في الإسلام ذات طابع فريد في بابه^(١) ..

وقد اهتم الإسلام بنظام الري توصلا إلى الاستخدام الأمثل للأرض . ولذا نرى الإسلام يؤكد بأن من يملك أرضا تطل على قناة ، فإن له الحق في رى حقوله منها ، ولكن يجب عليه أن يدع المياه تمر إلى أراضي غيره بعد أن يستوفى حاجته منها .

ورغم أهمية الزراعة في الاسلام - كصورة من صور استخدام الأرض - فإنه لم يعتبرها كل شيء في النشاط الاقتصادي ، فهي - وإن كانت تسمو فعلا بإنتاجها إلى مستوى حفظ الحياة نفسها بتوفير الغذاء والكساد إلا أنها مد ذلك ليست وحدها المصدر الوحيد للثروة ، وليست وحدها في الاسلام هي العمل الوحيد الذي ينتج أكثر مما يستهلك . لأن الصناعة والتجارة كلاهما منتج الأرض في مجالها الزراعي^(٢) .

(١) م . أ . منان . المرجع السابق - ١٠٢ .

(٢) حمزة الجمعي العموي - الاقتصاد في الاسلام - دار الأنصار - ص ٤٤ .
- يرى فرانسوا كينزي . Francois Q. (ولد سنة ١٦٩٤م في فرساي بفرنسا) - أن الزراعة هي المصدر الحقيقي للثروة ، ولذلك نجده في كتاب : الجدول =

الأرض^(١) .

وقد توصل فقهاء الإسلام إلى أن الإسلام لا يبيح إلا صورتين اثنتين من صور (استغلال الأرض الزراعية) وهما :-

١ - إما أن يزرع صاحب الأرض أرضه ببذر وسبخه وماشيته وآلته وعمله وله في ذلك أن يستعمل من العاملين من شاء على أن يدفع لكل أجير أجره بما يعدل أجر المثل ودون أن يؤخر دفع الأجر عن الموعد المتفق عليه .

٢ - وإما أن يشرك غيره معه في عملية الإنتاج ، فيجوز أن يكون البذر والسماد من صاحب الأرض ، ويجوز أن يزيد عليهما ما يتفق عليه الطرفان من ماشية وآله ومبيدات للحشرات ، وأن يكون العمل من قبل غيره (المزارع أو المخابر أو المحاقل) ، ويجوز للمزارع في هذه الحالة أن يقتصر على تقديم العمل اللازم من قبله ، كما يجوز أن يقرن ذلك بتقديم البذر كله أو بعضه أو بتقديم أى عنصر آخر من عناصر الإنتاج^(٢) .

وإذا كان الإسلام قد اعترف (بالأرض) كعنصر من عناصر الإنتاج ، فإن ذلك المعنى ليس هو بالضبط ما يقصد في المفاهيم الحديثة لهذا المصطلح وقد كانت الكتابات التقليدية تنظر إلى (الأرض) باعتبارها عنصراً هاماً من عناصر الإنتاج يشتمل على كل الموارد الطبيعية المستخدمة في العمليات الإنتاجية مثل سطح الأرض ، وخصوبة التربة ، وخصائص الهواء والماء والموارد

(١) البخارى ج ٥ - ص ١٣٧ و ١٣٨ .

(٢) محمود أبو السعود - المرجع السابق - ص ٤١ .

الحديدية ، ويعتبر الجغرافيون اقليم فارس من أعظم مناطق الاسلام في استخراج الحديد وصناعته وقد ازدهرت صناعة استخراج النحاس الأصفر وتعدينه وتحويله إلى سلع صناعية في اقليم أصفهان وبخارى ، ونحاس بخارى بصفة خاصة كان يستعمل في طلاء أعلى المنابر أما الذهب والفضة فقد كانت أجزاء الدولة الاسلامية في اكتفاء ذاتي من هذيه المعدنين الشهيرين بسبب قيام التكامل الاقتصادي آنذاك بين بلدان دولة الاسلام الكبرى ، فقد كان المغرب يتخصص في انتاج الذهب والشرق يقوم بعمليات استخراج الفضة وتعديتها ...

وفي مصر بين أسوان وميناء عيذاب على البحر الأحمر كانت أعظم مناجم استخراج الذهب وفي منطقة بنجهير من نواحي بلخ كانت عمليات تعدين الفضة تسير على أحسن وجه ، كما نشطت صناعة المنسوجات القطنية في المراكز الكبرى لصناعته في « مرو » ، وينسابور شرقي فارس ، « وبم » شرقي كرمان ، بل إن تلك المصنوعات كانت تصدر إلى خراسان والصين ، أما اقليم خوزستان فكان قد تخصص في صناعة المنسوجات الحريرية ^(١) .

وقد تأثرت تلك الصناعات بمنهج الاسلام تأثرا جوهريا في النوعية والطريقة عملا بالقاعدة الشرعية التي تقول : « الصناعة تأخذ حكم ما تنتجه » ... ففي الوقت الذي ازدهرت فيه صناعة المواد الغذائية بواسطة « العصر » ولكن صناعة « عصور الخمر » انكمشت عملا بتحريم الرسول عليه الصلاة والسلام صناعة عصر

(١) د. علي عبد الرسول - المبادئ الاقتصادية في الإسلام - المرجع السابق - ص ٢٩٩ .

٢ - في المجال الصناعي

لم يهمل الإسلام شأن الصناعة أو يتغافل أهميتها كأساس له اعتباره من أسس الحياة الاقتصادية ... وقد بين الإسلام أحكام المصانع بأن ملكيتها فردية وجماعية .. فلكل فرد أو أكثر مصنع ما ، فالمصنع من حيث هو داخل في الملكية الفردية وليس هو من خاصية ملك الدولة . والدليل على ذلك : أن رسول الله ﷺ استصنع منبراً عند من يملك المصنع « ملكية فردية » .^(١)

وقد أحسن المسلمون الاستفادة من ثرواتهم المعدنية والطبيعية المختلفة وأتقنوا الكثير من الصناعات واشتهروا بها ، ومن ذلك الحديد الذي كان متوفراً في دولة الإسلام خصوصاً في كرمان وكابل وفارس وأفريقية واشتهرت صقلية وفرغانة بصناعة المنتجات

= الاقتصادي Le Tableau Economique يقول أن الأرض هي العمل الأصل في الانتاج . وأن الزراعة هي المصدر الوحيد للانتاج - ونجده يحمل على الصناعة والتجارة ، ويعتبرها بلا انتاج البتة . ويقول : « إن الزراع هم وحدهم الطبقة المنتجة ، أما الصناع والتجار والعمال فهم الطبقة العقيمة : (يرجع المرجع نفسه - ص ٤٤) .

- يشدد كل من القرآن الكريم والسنة على وجوب زراعة الأرض . فالقرآن الكريم يوجه الاهتمام إلى ضرورة تحويل الأراضي الجرداء إلى بساتين وراقة ، وذلك عن طريق اصلاح الأراضي وتنظيم ريها . ولكننا في نفس الوقت نجد الاسلام منذ ١٤ قرناً من الزمان يدرك الحاجة إلى التوازن الاقتصادي . وبصفة خاصة : الموازنة بين التنمية الزراعية والتنمية الصناعية وتقضي الشريعة بأنه إذا ما اهتم الناس بحرفة معينة ، واهملوا الحرف الأخرى بما يسبب الضرر للنجاعة ككل فللدولة الحق في التدخل لتغيير هذه العادات .

- يمكن الرجوع في ذلك إلى : م . أ . منان . المرجع السابق . ص ٤ .

(١) خالد عبدالرحمن أحمد - نحو اقتصاد اسلامي - دار الدعوة الإسلامية سنة ١٣٩٧هـ - ص ٦٠ .

٣ - في المجال البشرى

يمثل الانسان أهم مصادر الثروة وهو أحد عوامل الإنتاج في الدراسة الاقتصادية بل هو أهمها على الإطلاق ويطلق الاقتصاديون على الجهد البشرى سواء كان يدوى أو جسمانى أو ذهنى اصطلاح : العمل "Labour" والعمالة هى العنصر الانسانى فى العملية الانتاجية ، ولهذا يحتل مكاناً بارزاً فى أهداف الخطة الاقتصادية لدولة ما ، فضلاً عن انتاجية العامل ووسائل رفعها تحقيقاً للتنمية . ويقسم العلماء سكان دولة ما إلى قسمين : الأول : يضم جميع السكان القادرين على العمل ، ويمكن استخدامهم فى النشاط الاقتصادى للدولة ، ويسمى ذلك القوة البشرية .

"Manpower"

والقسم الثانى : يضم بقية المكان غير القادرين على العمل ، كالعجزة والأطفال ممن تقل أعمارهم عن ٦ سنوات ، وكبار السن ممن تجاوزوا ٦٥ سنة ولا يعملون عملاً مثمرًا^(١) .
وإذا استبعدنا من القوة البشرية الأفراد القادرين على العمل ، ولكنهم لا يعملون فعلاً ، ولا يبحثون عن عمل استغناء عنه ،

= تستعمل فى وقت واحد للحرارة والإضاءة ، فإن كانت هذه الآلة تستعمل فى الغالب للإنارة فإنها تكون جائزة الملكية للأفراد ، إذا كان توليدها من ملك فردى . وإن كانت غالباً ما تستعمل له هو (الحرارة) : فإنها حينئذ تكون ملكية عامة كالكهرباء فى المصانع تستعمل لصهر المعادن وتسويتها ، وللإنارة ، ولكن أغلب ما تستعمل له هو الحرارة ، وهى إنما وجدت تقى المصنع للحرارة ، أما الإضاءة فتابعة لها والتابع تابع فى الحكم .

- انظر فى ذلك : خالد عبد الرحمن أحمد - المرجع السابق - ص ٦١ .

(١) دكتور حسين عمر - المرجع السابق - ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

الخمور . فقد قال أنس رضى الله عنه .. : لعن رسول الله ﷺ في
الخمر عشرة : « شاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها
ومعتصرها .. » (١)

كما نجد الإسلام قد قضى - في بعض الحالات بأن بعض
المصانع لا يجوز أن تملك ملكية فردية أو جماعية ، وإنما هي لبيت
مال المسلمين ، وكذلك الأراضي التي توجد فيها المواد الخام
الاستراتيجية كالبترول والذهب والفضة والحديد ، فإن حدث
وأخذها أحد المواطنين خطأ ، استعيدت من قبل خليفة المسلمين ،
ودليل ذلك : ارجاع رسول الله ﷺ ما أقطعه من أرض إلى عمر
ابن قيس الماربي (٢) .

وقد حدد الإسلام أصول المعاملات بين المسلمين في المجال
الصناعي أو الاستصناع (٣) ، كما عالج الصناعة والآلات ببيان
ملكيتها ، وأوضح متى تكون ملكية عامة ومتى تكون ملكية
فردية (٤) .

(١) خالد عبد الرحمن أحمد - المرجع السابق - ص ٦١ .

(٢) المرجع نفسه - ص ٦١ .

(٣) الاستصناع في الفقه الإسلامي هو عقد على مبيع في الذمة مطلوب صنعته على
أوضاع وشروط تم الاتفاق عليها في العقد في نظير ثمن معلوم . والاستصناع لغة :
طلب الصنعة من الصانع فيما يصنعه . ويعبر عنه في النشاط الاقتصادي المعاصر
بأعمال المقاولات . ومن الحقيقة : كالحاكم الشهيد والصغار ومحمد بن سلمة من
ذهب إلى أنه ليس عقداً من عقود المدووسة ، وإنما هو مواعدة تقوم على بيان ما
يطلبه الطالب ، فيعده صاحبه بالتفاد ما يقتب ، فإذا أنجز المطلوب منه ، وسلمه
إلى الطالب قبله انعقد بيعاً بالتعاطي عند ذلك لا قبله .

- انظر في ذلك : د. غريب الجمال - المرجع السابق - ص ٨٩ .

(٤) الحكم في المصانع هو للأصل : لا للفرع أو التابع ، مثل آلة توليد الكهرباء ، =

الأمثل للموارد البشرية^(١) ويهتم بتوفير ما يحتاجه جميع الناس من الحاجات الضرورية والكمالية بأن ترك المجال فسيحاً أمامهم ليتم التنافس في (العمل) في سبيل نيل ما هو الأفضل والأكمل منها كما أن الاسلام ضمن المأكل والملبس والمسكن ووسائل النقل (للعمال) وكذلك الخدمات اللازمة كالتعليم والتطبيب .. وحرمة الاسلام المتاجرة بأرواح العباد أو عقولهم أو ثمره عملهم ... والاسلام بذلك يضمن حقوق (القوى العاملة) ويحافظ عليها حتى لا يصبح هذا (المصدر) الهام من مصادر الاقتصاد مهدوراً .. ويتحقق الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية الأخرى^(٢) .

(١) دكتور حسين عمر - المرجع السابق - ص ٢٣١ .

(٢) الموارد « Resources » هي الوسائل المستخدمة في صنع (السلع) التي تشبع رغبات الانسان . وقد تكون هذه الموارد طبيعية . أى أن الطبيعة تشتمل عليها ، وقد تكون بشرية وهي - كما رأينا - تتمثل في طاقاتنا العقلية والذهنية والتي نسمي استثمارا انسانيا « Human Investment » حين تؤدي إلى زيادة في قدرة أفراد المجتمع على العمل بحسن استخدامها وتدريبها تدريباً فنياً لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية .

- أنظر في ذلك : عمرو يحيى الدين - التنمية والتخطيط الاقتصادي النهضة العربية - بيروت - ص ١٩ - ٣١ .

- وكذلك : عبد الحميد محمد القاضي - مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي - دار الجامعات المصرية - الاسكندرية - ص ٧٩ .

أوزهدا فيه ، أولتغذر دڤولهم فى سوق العمل ، كالطلبة وربات
البيوت وأرباب المعاشات ، ونزلاء السجون ، فإننا نحصل على قوة
العمل Labour Force أما إذا استبعد من هذه أيضا أفراد القوات
المسلحة ، فإننا نحصل على قوة العمل المدنية^(١) .

وحيث أن الإسلام دين العدل والحق ، فقد نظم العلاقة بين
العامل وصاحب العمل موجها إلى المنفعة المتبادلة ، وجعل
(العوض) مقابل المنفعة ، أى جعل (المنفعة) أساسا لتقدير
الأجر ، وقال فقهاء الاسلام : إن تملكيا من الأجير للمستأجر
منفعة ، وتملكيا من المستأجر للأجير مال ، ولعلمهم استنبطوا ذلك
من مدلول قوله تعالى :

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾^(٢)

فإعطاء الأجير جعل مقابل الأوضاع ، وقال رسول الله ﷺ
قال الله عز وجل : [ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى
بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكمل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا
فاستوفى منه ولم يوفه أجر]

وفى ذلك تأكيد على أن استيفاء المنفعة قائم على إيفاء الأجر ،
فتكون المنفعة أساسا لتقدير الأجر . وحرص الاسلام على أن تكون
الأجرة معلومة لقوله ﷺ .. « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،
فلا يستعملن أجيرا حتى يُعلمه أجره » .

وهكذا نجد الاسلام يحرص على توفر مقومات الاستخدام

(١) دكتور حسين عمر - المرجع السابق - ص ٢٣١ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ٦ .

يقصد بالتنمية الاقتصادية (Economic Development) تحقيق معدل سريع التوسع الاقتصادى يؤدى بالدولة المتخلفة من معيشة الكفاف إلى مستويات مرتفعة جدا من الرفاهية الاقتصادية ، فالتنمية الاقتصادية بالنسبة لهذه الدول ، تعتبر عن العملية التى يمكن بموجبها أن يستخدم شعب دولة ما أو منطقة ما موارده المتاحة له استخداما أمثلا لتحقيق زيادة مطردة فى الدخل القومى ، وفى نصيب كل فرد فى المتوسط من سلع وخدمات .

أما بالنسبة للدول المتقدمة اقتصاديا ، فالنمو الاقتصادى يتضمن زيادة المعدلات الحالية للنمو أو استدامتها على الأقل ، وغالبا ما يوصف هذا النموذج من النمو الاقتصادى بالتصنيع أو التنمية الصناعية ("Industrial Development") حيث تشهد تلك الدول توسعا صناعيا بإقامة المشروعات الصناعية الجديدة أو التوسع فى المشروعات القديمة ويطلق على هذه الظاهرة فى بعض الأحيان عملية التصنيع "Industrial Process" كما يوصف هذا النموذج أيضا من النمو الاقتصادى بالتنمية الزراعية (Agricultural Development) وفيها يتم التوسع الزراعى بكل ما يتضمنه ذلك من العمل على زيادة رقعة الأرض الزراعية أو زيادة انتاجها^(١)

(١) يمكن تعريف الانتاجية « Productivity » على أساس الارتباط بين عنصر العمل وبين تلك القدر الذى تنتجه كل وحدة من وحدات ذلك العنصر ، وهى مؤثر هام يلقى الضوء على مدى نجاح المنشأة فى استخدام مواردها الحقيقية ومدى فعالية استخدام عنصر العمل فى عملية الانتاج .

- يرجع فى ذلك إلى : موسوعة المصطلحات الاقتصادية - المرجع السابق - ص

الفصل الثالث
ملامح التنمية الاقتصادية
في الإسلام

وعبادته الموصليين إلى السعادة الآخروية ..

ولا شك أن قول القرطبي يقطع بأن (التنمية الاقتصادية) عن الشعوب قد نشأت في أحضان الأديان ، وخصوصا خاتمها وأكملها وأشملها « الاسلام » .

كما ينظر الاسلام إلى التنمية الاقتصادية نظرة شمولية تجمع بين تطوير كل من « الأرض » أى الموارد الطبيعية ، و (الانسان) أى الوصول بالانسان إلى المستوى الأمثل من العمل ... وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١)

ويقول أيضا : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٢)

ويقول سبحانه : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ^(٣)

ويقول رسول الله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ » ^(٤) .

وعنه أيضا : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ .. صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » ^(٥)

(١) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(٢) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية ١١ .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) رواه مسلم .

وقد تعنى التنمية الاقتصادية تدخلا إراديا من الدولة لإجراء تغييرات جذرية فى هيكـل الاقتصاد ، ودفع المتغيرات الاقتصادية نحو النمو بأسرع وأسهل الوسائل الممكنة مع علاج ما قد يقترن بها من اختلال . ولعل ذلك ما تحاول معظم الدول الإسلامية عمله ، سواء بإجراء تلك التغيرات اعتمادا على الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة لديها^(١) ، ولاشك أن الجمع بين هذين العنصرين هو الذى يحدد الفعلى للنمو ، وبعبارة أخرى ، فإن البلاد الإسلامية فى وضع أفضل - حاليا - لكى تبذل الجهود من أجل الأخذ بأسلوب التنمية الاقتصادية ، فالـيوم تمتلك الدول الإسلامية موارد كثيرة لم تكن معروفة فى القرن التاسع عشر ، كما أن الإسلام يحقق للفرد سلوكا اقتصاديا مثاليا يدفع به إلى تحقيق أهداف التنمية من أجل الجميع . وفى الإسلام تتخذ التنمية الاقتصادية مفاهيم سامية ترتبط بالدين ارتباطا وثيقا ، وعلى سبيل المثال نذكر أن الإمام القرطبي يقول فى تفسير قوله تعالى :

﴿قَالَ نُرَزِّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا...﴾^(٢) ، إنه لا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية (أى تنمية مواردهم الاقتصادية) ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى

(١) تشير التنمية الاقتصادية إلى عمليات استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة للمجتمع فى تحقيق زيادات مستمرة فى الدخل القومى تفوق معدلات النمو السكانى بما يؤدى إلى احداث زيادات حقيقية فى متوسط نصيب الفرد من الدخل .
- يرجع فى ذلك إلى : دكتور محمد عبد المنعم عقر - دار الجمع العلمى - جدة - ص ٣٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٤٧ .

الحاضرة والمفرطة للإنسان من أجل توفير الطاقة الانسانية للجهاد الروحي ، فالسمو الداخلى وليس الفهم الخارجى هو المثل الأعلى للإنسان المسلم فى هذه الحياة .

والاسلام لا يهمل جانب تلبية الحاجات الخارجية للإنسان على الاطلاق ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

فالآية الكريمة - كما هو واضح - تحت على السعى إلى ذكر الله فى الصلاة (غذاء الروح) ، ثم تدعو للسعى فى سبيل تحصيل الرزق (غذاء الجسد) عن طريق تنمية الموارد المتاحة فى حدود تعاليم الشريعة الاسلامية .. والمدلول العميق للجمع بين العبادة والعمل فى آيتين متتاليتين ، يكمن فى أن الخالق الأعظم سبحانه وتعالى يريد أن يوفر الانسان لنفسه حاجات الجسد ومطالب الروح فى آن واحد لتحقيق التوازن بين الجانب المادى والجانب الروحى فى الانسان فتسير حياة المسلمين معتدلة فكرا وسلوكا .. إذ ليس من الاسلام أن يتفرع المسلمون تماما لتحقيق التنمية الاقتصادية لمواردهم كما يريد أصحاب المذاهب الاقتصادية الأخرى ، وليس من الاسلام أيضا أن ينقطع المسلمون تماما كل الوقت للعبادة تجردا للروح اذ لا رهبانية فى الاسلام .. إنما يريد الاسلام توازنا بين مطالب الروح والجسد فى آن واحد .

(١) سورة الجمعة . الآية ٩ - ١٠ .

وقال : « من سُئِلَ عن علم فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار » ^(١)

وقال : « ما تصدق الناسُ بصدقةٍ مثْلَ علم يُشْرُ » ^(٢)
وفى ذلك كله إشارة إلى أهمية تنمية الموارد البشرية بالعلم والتدريب على اعتبار أن ذلك يوفر العمالة الكاملة لقوة العمل المتاحة لمجتمع المسلمين الأمر الذى يؤدى إلى تحسين مستويات المعيشة وتحقيق الرفاهية لكل فرد فيه .

ونفهم من ذلك أن (التنمية الاقتصادية) دعائمها هى المعرفة الفعالة والمهارات البشرية والكفاءات الفنية ، وطاقة واجتهاد واتقان قوة العمل ، قبل أن تكون موارد طبيعية أو مجرد حجم كبير ونوع جيد لرأس المال . ومن هنا كان سمو المفهوم الإسلامى للتنمية الاقتصادية ، والذى ينبثق من الترغيب الإلهى فى العمل وهذا ما ورد فى القرآن والسنة ^(٣) .

والتنمية فى الاسلام تستوجب ابراز المبادئ الاسلامية فيما يتعلق باستخدام العقل وتوجيه جميع الموارد التى وهبها الله لخير الانسان ، وذلك حتى يصبح الحافز للعمل فى المجتمع نابعا من الإيمان وأن يكون أفضل المسلمين ليس أغناهم وإنما أكثرهم تقوى ، كما أن أخلاقيات الاقتصاد الإسلامى تهتم بالتقليل من الحاجات المادية

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) ويتضمن المفهوم الإسلامى للتنمية ضرورة الأخذ بمبدأ التعاون فى كافة صور الأنشطة الاقتصادية ، ولا يقتصر ميدانها فى المفهوم الإسلامى على تحقيق الرفاهية المادية فقط وإنما تأصيل السمو الأخلاق والروحى لكافة العاملين من المسلمين .

شكل من الأشكال^(١) .

ولاشك أن تحقيق التوازن بين مختلف قطاعات الاقتصاد في المفهوم الاسلامى يضمن لبلدان العالم الاسلامى مجتمعة أو منفردة كثيرا من الوفورات الخارجية الفنية والاقتصادية ، كما تضمن أيضا اتساع السوق ... كيف ذلك .

من المعروف أن كل صناعة تشكل - لما تحتاج إليه من مستخدمات وبما توزع من دخول طلبا على الصناعات الأخرى ، فالعرض يستلزم قدرا من الطلب ، ومن هنا تنشأ السوق العريضة لتبادل الفائض من الانتاج المتنوع .

ويمكن أن نقسم الوفورات الخارجية External Economies التى يضمونها التوازن بين مختلف قطاعات الاقتصاد الاسلامى إلى نوعين رئيسيين :

- النوع الأول : وهو الوفورات التى تتحقق مع التطور العام للصناعة حين يتركز كثير من المنشآت الصغيرة التى تكون من طبيعة متماثلة فى منطقة معينة ، أو كما يقال أحيانا بسبب توطن الصناعة أو وحدات الانتاج .

- النوع الثانى : وهو الوفورات التى تتوقف على موارد المنشآت الفردية التى تتكون منها الوحدات الانتاجية ، وعلى تنظيم هذه المنشآت وعلى كفاءتها الإدارية .

ومن ملامح التنمية الاقتصادية أيضا رفض مبدأ التفسير المادى

(١) د. محمد عبد المنعم عفر - السياسات الاقتصادية فى الإسلام - اتحاد البنوك الإسلامية - ص ١٨٦ .

وعلى ذلك يمكن القول انه لكي تنجح التنمية الاقتصادية في بلدان العالم الاسلامى لابد أن تواكبها تنمية اجتماعية على إعادة تغيير القيم والعادات والتقاليد التي تشكل أنماط السلوك في المجتمع وفق شريعة الله في القرآن وسنة رسوله الكريم ... وليست تجاربنا في أجزاء كثيرة من بلدان العالم الاسلامى ببعيدة ، ومن يتذكر جيداً يلمس أن أسباب فشل خطط التنمية في تلك البلدان افتقارها إلى تنمية الانسان في إطار تعاليم ، وكذلك غياب الارشاد الاقتصادي الاسلامى في التطبيق العملي لمراحل التنمية الاقتصادية .

ومن الملامح الرئيسية أيضاً للتنمية الاقتصادية في الاسلام ضرورة تحقيق التوازن بين مختلف قطاعات الاقتصاد والعناية بتنمية قطاع الصناعة والقطاعات المرتبطة به^(١) وعدم تركيز الاعتماد على الزراعة ، ودعم وتطوير هيكل الانتاج وبمعدل يكفل حسن استغلال موارده المتاحة وتطوير الموارد بصفة مستمرة ، وتوسيع الأسواق المحلية بالتكامل داخل العالم الاسلامى ليتسنى قيام خطوط الانتاج على أكثر الطرق الانتاجية كفاءة اقتصادية وملاءمة لأهداف المجتمع من توفير العمالة الكاملة لكافة أفرادها وتقليل الاعتماد على العالم الخارجى (غير الاسلامى) وعدم التبعية له بأى

(١) من المعلوم أن توازن المشروعات الانتاجية يتحقق بتساوى متوسط التكاليف الكلية مع السعر في الأجل الطويل ، ويتساوى متوسط التكاليف المتغيرة في الأجل القصير ، ولا شك أن الإسلام قد عمل على زيادة الانتاج في المجتمع الإسلامى ، وتشجيعاً لارتداد كافة المجالات الانتاجية . فقد وفر الإسلام الضمان الاجتماعى والكفالة العامة لأفراد المجتمع ضد الحسائر المحتملة في النشاط الاقتصادى . - يرجع في ذلك إلى د. محمد عبد المنعم عفر - المرجع السابق - ص ٣٩ .

فما سبق يمكن التوصل إلى المفاهيم الآتية حول ملامح التنمية الاقتصادية في الاسلام .

- ضرورة تطبيق الاستخدام الأمثل للموارد في البيئة الطبيعية التي وهبها الله للإنسان وكذلك بالموارد البشرية كأحد أهم وسائل تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية .

- ضرورة الأخذ بأولويات التنمية الاقتصادية والتي ترمى إلى توفير الاحتياجات الضرورية لجميع أفراد المجتمع دون اسراف أو تقتير قبل توجيه الموارد لإنتاج غيرها من السلع .

- التأكيد على أن تنمية ثروة المسلمين وسيلة لتحقيق رفاهيتهم جميعا مع ضمان عدالة التوزيع بين جميع أفراد المجتمع الاسلامى كحق أساسى له على أفرادہ .. وفى ذلك يقول الخالق الأعظم مالك يوم الدين والعرش والقلم سبحانه ... ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاعِلُكَ مِنَ الْغَنَىٰ وَالْفَقْرِ ۖ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا . الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْمُنُونَ مَاءً آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١)

- استمرارية عملية التنمية الاقتصادية ، والجمع بينها وبين التنمية الاجتماعية حتى يمكن توفير الاحتياجات المعيشية والدفاعية لساثر أفراد المجتمع الاسلامى بما يناسب كل عصر ويتفق مع مفهوم

(١) سورة النساء ، الآية ٣٦ - ٣٧ .

الماركسي للتاريخ لأنه يحبط الهدف الأسمى للاختلاف في القدرات بين القائمين على تنفيذ التنمية الاقتصادية ، ويرمى إلى مرتبة عدم الايمان بفضل الله . ولذلك فإن تنفيذ برامج التنمية في الإسلام يمكن أن يتم في إطار الاقتناع العام أو توجيه جميع الموارد المادية والبشرية - إذا اقتضى الأمر ذلك - في سبيل منفعة الأمة ككل مع الابقاء في المواهب والقدرات وما يتبع ذلك من اختلاف في الدخل والعائد المادى . وهكذا نجد الدولة في الاسلام تقوم بدور مزدوج في كبح جماح الأفراد ، والتعجيل بعملية التنمية وبذلك فالنظام الاسلامى يتضمن أفضل طريقة عملية للجمع بين النقيضين ، فهو يبنى على حافز العمل باعترافه بالملكية الخاصة للممتلكات ، كما يحقق نتائج اشتراكية تماما عندما يبنى على التوزيع الإجبارى لفائض الدخل والممتلكات عن طريق جباية الزكاة ولو أدى الأمر إلى إعلان الحرب على الممتنعين عن دفع الزكاة ، كما فعل خليفة المسلمين الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه (١) .

(١) الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وضرورة من ضرورات الإيمان . يقول تعالى : ﴿لَقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ١ - ٤) . والزكاة حق الجماعة في عتق (الفرد) لتكفل الطائفة منها كفايتهم ، وبذلك يحقق الإسلام جزءاً من مبدئه (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) ، أى لكيلا يتداول المال بين الأغنياء فقط .
- يمكن الرجوع في ذلك : إلى المبادئ الاقتصادية في الإسلام - المرجع السابق - ص ١٧٧ .

الإسلام للرفاهية الاقتصادية^(١) والعدالة الاجتماعية^(٢) .

– شمول التنمية الاقتصادية للأبعاد الروحية والخلقية والمادية للفرد والمجتمع بما يؤدي إلى تحقيق أقصى رفاهية اقتصادية واجتماعية ممكنة ، والمنفعة القصوى للجنس البشرى .

– ويتضح أيضا مما سبق أن المستوى المعيشي المطلوب للمجتمعات الإسلامية في ظل التنمية الاقتصادية – هو الذى تمثله مرحلة الانتاج الوفير الذى يتحقق بأقل تكاليف اجتماعية ، والذى يبنى – في نفس الوقت – باحتياجات أفراد المجتمع الاسلامى المعيشية وتحقيق الأمن والعدالة والسلام الاجتماعى .

(١) الرفاهية الاقتصادية « Economic Welfare » حسب تعريف (بيجو) هى ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذى يتناوله المقياس التقدي بطريق مباشر أو غير مباشر . وعلى أساس هذا التعريف يفترض (بيجو) أن زيادة الرفاهية الاقتصادية تؤدي إلى زيادة مناظرة في الرفاهية العامة ، غير أنه لا يبدو أن هناك ارتباطا بين الرفاهية الاقتصادية والرفاهية العامة .

– أنظر : دكتور حسين عمر – المرجع السابق – ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ .

– غير أن راد وميزلز يعتقد أن اقتصاديات الرفاهية لا تنطوي على معرفة ما يجب علينا أن نؤديه ، بل على دراسة أسباب الرفاهية . فإذا كانت دراسة الرفاهية مقصورة على تحليل أسبابها والعوامل المؤدية إلى تحقيق أقصى قدر من السعادة للإنسان فهي دراسة إيجابية Positive Studeay أى أنها تستند إلى التحليل العلمى الخالص أما إذا امتدت آفاق هذه الدراسة بحيث تشمل رسم السياسة Policy Prescription لتحسين الرفاهية فإن مثل هذه الدراسة تصبح غير إيجابية Normative Study

(٢) م . أ . المرجع السابق – ص ٧٩ .

يهدف الاسلام من خلال تنظيماته المترابطة والمتكاملة للحياة إلى ترسيخ المفاهيم الاسلامية التي تنظم أسس المعاملات الاقتصادية بين أبناء المسلمين . ووصولاً إلى تحقيق ذلك حدد الاسلام مبادئ المعاملات الاقتصادية كالتالى :

أولاً : تعديل نظام أعمال البنوك حتى يتلاءم مع أحكام عقد المضاربة الاسلامى ، وحتى تحصل المضاربة تحل الفائدة المحرمة ، على أن يكون المودعون - والحالة هذه - فى مجموعهم (رب مال) ويكون البنك هو (المضارب مضاربة مطلقة أى يكون له حق توكيل غيره فى استثمار مال المودعين^(١) .

وفى إطار الأسس الإسلامية للمعاملات الاقتصادية تنعدم الفائدة على الودائع والمدخرات ، والحصول على فوائد على القروض لأن ذلك من الربا المحرم وفقاً للشرعة الإسلامية^(٢) . فقد أكد القرآن والسنة - وهما المصدران الأساسيان للشرعة الإسلامية على تحريم الفائدة بشتى صورها ، وعلم الله الذى تضمنه القرآن ، لاسبيل إلى استبداله بنظام الفائدة على القروض الانتاجية ... وستظل الفائدة دائماً - حسب مبادئ الاسلام الخفيف - إضافة واضحة إلى رأس المال المقرض وهى عبارة عن ربا سواء فى طبيعته

(١) د. على عبد الرسول - المرجع السابق - ص ٢٢٨ .

(٢) د. مختار القاضى - الرأى فى الفقه الإسلامى (رسالة دكتوراه) القاهرة سنة ١٩٤٩م ص ٣٨ وما بعدها .

الفصل الرابع
مبادئ المعاملات الاقتصادية
في الإسلام

فيجب عليه أن يتحمل أعباء هذه الأمانة على أكمل وجه ...
وعلى ذلك فإن معاملات البنوك في ظل مبادئ الاسلام تتمشى
مع نظم معترف بها ماليا وهي مبادئ (المشاركة) ... ونعني بالنظام
العام للبنوك الذي يساهم فيه حملة الأسهم مع المستثمرين
والمودعين والمقترضين على أساس من المشاركة ...

وهذا هو ما نسميه بمبدأ المضاربة الذي يتحد فيه (العمل -
ورأس المال) . كشركيين في المشروع . وسوف نجد أن ذلك لن
يكون مجرد (شركة) بمعناها الحديث ولكنه شيء أكبر من ذلك ،
لأن الاسلام يقدم تشريعات أخلاقية اقتصادية تجمع بين القيم المادية
والروحية لتسيير نظامه الاقتصادي^(١) .

ومعروف أن أعمال البنوك التجارية السائدة (الربوية) تنقسم إلى
قسمين : عمليات القروض وتقديم الخدمات المصرفية . وتقوم
عمليات القروض على أساس اقتراض الأموال من المدخرين
والمقرضين ، ثم اقراضها للمقترضين ، وعادة ما تتخذ تلك
العمليات أشكالا متعددة مثل : الودائع تحت الطلب (الجارية) -
الودائع لأجل (قد يكون لثلاثة أشهر أو أكثر) - المدخرات -
الأرصدة - الحسابات الدائنة ولا تقدم الفوائد عادة إلا لودائع
لأجل ... والخطير فيها إنها فوائد محددة . وفيما يخص الخدمات
المصرفية فإن البنوك تقدم لعملائها فتح الحسابات الجارية وصرف
ال شيكات وأوامر الدفع ، وتحصيل مستحقات العملاء لدى الغير ،

(١) د. محمد عبد النعم عفر - المرجع السابق - ص ١٢٦ .

أم في حكم الشريعة الإسلامية^(١) .

وإذا كانت الأمم الإسلامية اليوم مضطرة إلى افتتاح البنوك حتى لا تترك ذلك لأعداء الاسلام يستترفون أموالها ويعرضون ثرواتها للخطر ، وإذا كانت الأمم الإسلامية مضطرة اليوم إلى افتتاح بنوك لها حتى لا تصير اقتصادياتها تحت رحمة الأجانب يتحكمون فيها ويحرمونها إذا أرادوا حرمانها ويضيقون عليها من الناحية الاقتصادية إذا كانت لهم مصلحة ، وإذا كانت الدول الإسلامية - اليوم - مضطرة إلى افتتاح البنوك كنظام للمعاملات حتى لا تقع بين أنياب العوامل السياسية الأجنبية . فإن تلك البنوك يجب أن (تعدل) نظام معاملاتها بما يتلاءم مع أحكام عقد المضاربة الاسلامى . بحيث يقوم البنك بتقديم المال لأصحاب المشروعات موجها كل ما لديه من فطنه ودراية ماله وخبرة سوقية في تخير المشروعات والقائمين بها ، لا أنه طبقا لقواعد المضاربة (أمين) على هذا المال

(١) م . أ . منان - المرجع السابق - ص ١٨٥ وما بعدها .
- أنظر أيضاً : قاموس اكسفورد : (الربا) - هو ممارسة أقرض المال بفائدة فاحشة وعلى الأخص بفائدة أكبر مما يسمح به القانون . ونفس الوصف نجده في قاموس «تشامبرز» ولكن ما هى الفائدة الفاحشة ؟ ان ما يعتبر سعرا معقولا للفائدة اليوم سيكون سعرا فاحشا في الغد . كما أن ما يعتبر معقولا في بلد ما قد لا يكون معقولا في بلد آخر . في العشرينات كانت كثير من الجمعيات التعاونية تتقاضى فائدة تتراوح بين ١٢٪ - ١٥٪ وكانت تعتبر آنذاك فائدة معقولة أمام اليوم فانها تعتبر فائدة فاحشة وقادحة للغاية . وفي الولايات المتحدة لا يستطيع أحد البنوك لمن يتقاضى فائدة أكثر من ٨٪ بينما تستطيع شركات التمويل أن تتقاضى فائدة يتراوح معدلها بين ٣٠ - ٣٦٪ سنوياً قرض مماثل ... فأى عدل أو شرعية في ذلك ؟
- أنظر ذلك أيضاً : عبدالرحمن عيسى - المعاملات الحديثة وأحكامها - القاهرة - الطبعة الأولى - ص ١١ وما بعدها .

هامة لمشروعاتها الاستثمارية بتوفير التمويل القصير .

- لأن البنوك الاسلامية تجعل من الزكاة بنداً من بنود قطاع خدماتها الاجتماعية .

- لأن البنوك الاسلامية تأخذ بمبدأ المضاربة وهي نوع من أنواع الشركة تقوم على اتجار الانسان بمال غيره بحيث يكون رأس المال من شخص والعمل من شخص آخر ، ويقال للأول رب المال ويقال للثاني : مضارب . وبذلك ستكون البنوك الاسلامية بتطبيقها للشرعة الاسلامية متحررة من الفائدة ، ومن ثم فلن تثار مسألة دفع أية فائدة للمودعين (أرباب المال) أو تقاضى أية فائدة من العملاء^(١)

- لأنه في ظل المشروع الاسلامى للبنوك يمكن أن يكون هناك نوعان من المودعين الأول : هم المودعون الذين يودعون فائض مواردهم المالية ، ويمكن السماح لهم بسحب أموالهم في أى وقت بدون أى اشعار سابق ، وهذا النوع من المودعين هم الذين يحفظون ودائعهم فقط دون استثمار في أى نشاط انتاجى ينطوى على عنصر المغامرة . وفي حالة هذه الودائع يمكن للبنك أن يقطع قيمة الزكاة أو يتقاضى مصروفات مقابل خدماته من المودعين المسلمين وغير المسلمين كل حسب حالته . ويرى رجال الفقه الاسلامى أن هذه الضريبة على الودائع المعطلة لها ما يبررها لأنها تخارب الميل إلى الاكتناز وتحفز الناس على الاستثمار في الأنشطة الانتاجية . أما المودعين بغرض الاستثمار في أنشطة الانتاجية قصيرة المدى فإن

(١) م . ا . مثلاً - المرجع السابق - ص ١٨٤ - ١٨٦ .

وتأجير الخزائن وتوجيه خطابات الاعتماد^(١) . وغير ذلك من الأعمال والخدمات وذلك مقابل أجر أو عمولة معينة ومتفق عليها .

ولا شك أن لمثل هذه الأعمال الربوية مخاطر شديدة الأثر على نقاء بيت مال المسلمين ، ونعتقد أنه لا يكفي إلغاء التعامل الربوى من البنوك التى يسودها مثل هذه المعاملات لكى تكون بنوكا إسلامية تخدم أهداف التنمية - حسب شريعة الاسلام فى بلدان العالم الاسلامى . لماذا ؟

لأن مجالات البنوك الاسلامية أكبر من ذلك بكثير .
كيف ذلك ؟

- لأن البنوك الاسلامية مؤسسات اجتماعية ومالية فى نفس الوقت وليست مثل البنوك الربوية التى تتعامل فى الائتمان قصير الأجل مقابل فوائد محددة .

- لأن البنوك الاسلامية تعمل على توفير الموارد المالية اللازمة لتنفيذ المشروعات التى تتطلبها تنمية البناء الاقتصادى لبلدان المسلمين ، وتحقيق الاحتياجات الأساسية له .

- لأن البنوك الاسلامية لا تتعامل بالفوائد وإنما تبني نشاطاتها فى مجال الاستثمار المباشر والاستثمار بالمشاركة فى الريع والخسارة ... وتقدم قروضا حسنة بدون فوائد ولكن بضمانات .

- لأن البنوك الاسلامية توفر إلى جانب كل ما تقدم توفر خدمة

(١) وهى خطابات توجهها المصارف إلى فروعها أو مصارف أخرى فى بلاد أخرى لكى تعطى نقوداً لعملائها بدلاً من حملهم للنقود بواسطة النقل إلى هذه البلاد .
د. محمد عبد المنعم عفر - المرجع نفسه - ص ١٢٨ .

إن القراض جائز لأن الضرورة دعت إليه حاجة الناس إلى التصرف في أموالهم ، وليس كل أحد يقدر على التنمية بنفسه ... ثم قال في موضع آخر : كل من أخذ مالا للتنمية لربه بغير قراض كوكيل على بيع شيء فربح فيه فلا ربح له بل هو لرب المال ... وجاء في المذهب للشافعية . الاثمان في المقارضة لا يتوصل إلى نمائها - أى زيادتها - المرجو إلا بالعمل فجازت المعاملة عليها ببعض النماء الخارج منها .

ومن مبادئ المعاملات الاقتصادية في الإسلام أيضاً زيادة المال من أبواب فقهية أخرى لتنمية المال مثل (الشركة) ... والشركة

= وللإستثمار عموماً صورتان :

(١) استثمار على Domestic Investment توجه فيه المدخرات لتكوين رأسمال حقيقى جديد فى داخل الدولة .

(٢) استثمار أجنبى Foreign Investment تستخدم فيه المدخرات المحلية فى تكوين رأسمال حقيقى جديد فى دولة أجنبية .

ومن الممكن أن يكون الاستثمار تلقائياً Autonomous Investment وهو استثمار تقوم به الحكومة من تلقاء نفسها دون اعتبار للطروف الاقتصادية السائدة ، أو لما يدره الاستثمار من عائد ، كما لو قامت الحكومة ببعض المشروعات العامة فى أوقات الكساد ، أو بعض الانشاءات الجديدة التى قد تدر عائداً قليلاً أو لا تدر عائداً على الإطلاق ، أو انشاء بعض الصناعات التى تهتم أمن الدولة أو اقتصادها القومى بوجه عام كالصناعات الحربية أو بعض الصناعات الثقيلة كما يمكن أن يكون الاستثمار مستحثاً Induced Investment وهو استثمار لا يقدم عليه المستثمر إلا بدافع توقع عائد مجز عنه .

- يمكن الرجوع فى ذلك إلى :

- د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ٢٤ .

- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى جزء ٦ ص ٨٨ .

- أحمد الصاوى على الشرح الصغير للدرديرى - لغة المسالك لأقرب السالك جزء ٢ ص ٢٢٧ .

البنك لا يتقاضى أى شيء بل إنه يسمح لهم بالمشاركة في أرباح أو خسارة البنك في نهاية السنة المالية بنسبة أموالهم وبطريقة أشبه بتوزيع الأرباح على حملة الأسهم^(١) .

ولاشك أن استثمار أموال المسلمين فيما يعود عليهم جميعا بالخير أمر واجب على كل مسلم ، والاستثمار يقصد به تنمية المال وزيادة حجمه وقيمته ، وقد عقد الفقهاء بابا للمعنى المقصود من الاستثمار^(٢) - وهو التنمية - وهو باب القراض أو باب المضاربة ، فقد جاء في بدائع الصنائع : المقصود من عقد المضاربة هو استثمار المال^(٣) . وفي حاشية الصاوى على الشرح الصغير للملكية ، قال :

(١) د . علي عبدالرسول - المرجع السابق - ص ٦٥ ، ص ٦٦ .

(٢) د . عبدالمنعم عفر - المرجع السابق - ص ١٣٠ - ١٣٢ .

وكذلك : لسان العرب لابن منظور - جزء ١٦ - ص ١٠٦ .

(٣) يرى رجال الاقتصاد أن الاستثمار Investment يقصد به تكوين رأس المال العيني الجديد الذى يتمثل في زيادة الطاقة الانتاجية « وهو بهذه المثابة «زيادة صافية في رأس المال الحقيقي للمجتمع» وتتكون عناصره من المباني والتشييدات ، والآلات والتجهيزات ، ووسائل النقل ، والحيوانات ، والأرض ، وللاستثمار صور مختلفة : (أ) استثمار فردى Individual Investment عندما يوجه الفرد مدخراته أو مدخرات الغير إلى تكوين رأسمال حقيقى جديد .

(ب) استثمار الشركات Corporate Investment

وفى هذا النوع من الاستثمار تقوم الشركات بتكوين رأسمال حقيقى جديد ، وتمويله أما عن طريق الاحتياطات المكونة من الأرباح وأما من القروض التى تحصل عليها هذه الشركات .

(ج) استثمار حكومى Government (Public) Investment

وفيه تقوم الحكومة (القطاع العام) بتكوين رأسمال حقيقى جديد ، أما من فائض دخلها على انفاقها العادى : وأما من حصيلة القروض التى تطرحها للاكتتاب العام ، وأما من القروض الأجنبية التى تحصل عليها من الهيئات أو الحكومات الأجنبية .

وتقوم بأداء الأعمال المشروعة في كافة مجالات الانتاج والتبادل .
والشركات Copamies, Corporations عند رجال الاقتصاد الحديث ، عبارة عن منشآت تراول نشاطاً اقتصادياً معيناً ، ويمتلك
رأسمالها أكثر من شخص واحد . فان كانت الشركة تضامنية ، أى
كان الشركاء فيها مسئولية بالتضامن عن جميع التزامات الشركة قبل
الغير ، وأن هذه المسئولية غير محدودة ، سميت الشركة بشركة
تضامن لأنها تقوم على أشخاص الشركاء فيها ، ولذلك تعتبر في
عداد شركات الأشخاص ، إذ أن كل شريك في هذا النوع من
الشركات يشترك في الادارة ، وأى تصرف له قبل الغير يلزم جميع
الشركاء الآخرين .. ولذلك فلا بد أن يتوافر عامل الثقة بين الشركاء
جميعها قبل أن يقوموا على تكوين شركة التضامن .. وهناك -
حسب رأى رجال الاقتصاد - نوع آخر من شركات الأشخاص ،
وهو « شركات التوصية » وفيها يتضامن بعض الشركاء ويسهمون في
إدارة الشركة ، وتكون مسئوليتهم عن التزاماتها غير محدودة . أما
البعض الآخر منهم شركاء موصون . إذ أنهم ينيون عنهم في إدارة
الشركة ، الشركاء المتضامين فيها ، وتكون مسئوليتهم عن التزامات
الشركة محدودة بقدر حصة كل منهم في رأسمال الشركة ، أما
« الشركة المساهمة » أو « الشركة ذات المسئولية المحدودة » فهي
شركة أموال لأن شخصيتها المعنوية من الناحية القانونية مستقلة عن
شخصية المساهمين فيها ولأن هؤلاء المساهمين أو حملة الأسهم ،
لا تتجاوز مسئوليتهم عن التزامات الشركة حدود ما يمتلكه كل منهم
فيها من أسهم رأس المال وملكية رأس المال الحقيقي للشركة .

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(١) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه ^(١) ، وشركات العنان ^(٢) ، وشركات الأبدان ^(٣) وشركات الوجوه ^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

-
- (١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .
 - (٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .
 - (٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاذ مهنة المؤسسين لها .
 - (٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .
- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .
- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .
- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

حد قول بعض العلماء^(١) بتحديد الأسعار طالما خلت التجارة ومعاملاتها من الغش والاستغلال والكسب الحرام وقامت على أصولها المقررة شرعا ...

وأهم هذه الأصول : الصدق والأمانة والرضى والقبول بين البائع والمشتري دون إكراه أو استغلال^(٢) ... يقول الرسول ﷺ « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمِعًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى إِذَا اقْتَضَى » ... ولا شك أنه بما أن الدولة الإسلامية راعية لشؤون الأمة ، فهي بلا شك مسؤولة عن جميع المجالات الاقتصادية للأمة الإسلامية ، لأنها تعتبر العامل الفعال في حيوتها وسعادتها ، وقد حدد لها الاسلام في ذلك مجالين اثنين ، مجال الاشراف والتوجيه ومجال التدخل المباشر ...

فالدولة مسؤولة عن الاشراف الفعلي على جميع (معاملات) المسلمين لتسييرها على مقتضى الأحكام الشرعية وردع من يخالفها ... من ذلك مثلا : الحيلولة دون تلوث (المعاملات) الإسلامية وذلك بحظر خزن المال ، والترف به ، والربا ، والاحتكار ، والقمار^(٣) .

ولا يقتصر دور الدولة على ذلك بالطبع .. وإنما للدولة حق التوجيه الذي يتمثل في نظام الحسبة الذي يعتبر لسان الدولة الناطق لتوجيه الأمة وجهة الاسلام ، وصيغ حياتها بصيغة القرآن^(٤) .

(١) حمزة الجمعي الديموي - المرجع السابق - ص ٢٦٢ .

(٢) حمزة الجمعي الديموي - ص ٢٦٣ .

(٣) خالد عبد الرحمن أحمد - المرجع السابق - ص ١٧٠ .

(٤) يمكن الرجوع في ذلك بالتفصيل إلى : كتاب « الحسبة ومسؤوليات الحكومات الإسلامية » للإمام ابن تيمية - ص ٦٧ وما بعدها .

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(أ) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه^(١) ، وشركات العنان^(٢) ، وشركات الأبدان^(٣) وشركات الوجوه^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

-
- (١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .
 - (٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .
 - (٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاد مهنة المؤسسين ذاتاً .
 - (٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .
- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .
- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .
- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

قطاع التبادل السلعى مع هذه الدول بمعتقداتها الدينية^(١) ، حيث

(١) التبادل السلعى يشمل السلع الانتاجية Producers goods ، والسلع الأجرية ، وسلع الاستهلاك النهائى Final Consumers goods ، والسلع الاستهلاكية Consumers' goods ، والسلع الاستهلاكية المعمرة Consumers goods ، والسلع الجيدة والسلع العليا Superior Goods ، والسلع الرأسمالية Capital Goods والسلع الرديئة أو السلع الدنيا Inferior Goods والسلع متعددة المراتب Varying Orders وكذلك السلع القانية Perishable Goods ، والسلع الاقتصادية Economic Goods والسلع المتجانسة .

- فالسلع الانتاجية تتميز بأنها تسهم بطريق غير مباشر فى إشباع الرغبات والحاجات الانسانية المتعددة .

- والسلع الأجرية سلع تطلبها عادة الطبقة العاملة فى المجتمع أى التى تسمح بدخولهم التقديى بشرائها .

- وسلع الاستهلاك النهائى يقصد بها المنتجات المادية التى تستخدم بصفة مباشرة فى سد الرغبات المعيشية أو الاستهلاكية للأفراد والهيئات والمؤسسات فى المجتمع بما فى ذلك الحكومة ، سواء كانت تلك المنتجات مواد غذائية مصنعة أو غير مصنعة أم سلع صناعية نصف مصنعة أو نامة الصنع ، ويدخل فى التعريف كذلك جميع أنواع السلع التى تدخل فى إنتاج الخدمات الاستهلاكية كالخدمات الثقافية والترىحية وخدمات نقل الركاب وخدمات التعليم والصحة والخدمات الشخصية .

- والسلع الاستهلاكية سلع يمكن أن تشبع الرغبات الانسانية بطريقة مباشرة ، ومن أمثلة ذلك المنزل والسيارة والخبز والخدمات الشخصية التى يؤدها أصحاب المهن الحرة . وهى تتميز عن السلع الانتاجية فى أن هذه تسهم بطريق غير مباشرة فى إشباع الرغبات .

- والسلع الاستهلاكية المعمرة هى التى تحقق سلسلة متتابعة من الاشباع ولكنها تفقد قدرتها الاشباعية تدريجياً كالمنازل والملابس . بعكس السلع «القانية» مثل أنواع الأغذية المختلفة التى تستنفذ قدرتها على الاشباع بمجرد استعمالها مرة واحدة .

- والسلع الرأسمالية سلع اقتصادية لها كيان مادى تستخدم فى إنتاج سلع أخرى .

- أما السلع العليا فهى السلع التى تحقق الزيادة النسبية فى الكميات المطلوبة منها نتيجة الزيادة النسبية فى دخول المستهلكين .

- والسلع الدنيا هى السلع التى تحقق الزيادة النسبية فى الكميات المطلوبة منها نتيجة للنقص فى دخول المستهلكين .

- والسلع المتجانسة هى التى تكون كل واحدة من وحداتها متماثلة تماماً مع جميع الوحدات الأخرى للسلعة .

وقد تلجأ الدولة - وهذا من حقها - إلى حماية جمهور المستهلكين بغرض بعض الاجراءات الضرورية لارجاع المعاملات إلى (قنواتها الاسلامية) كالتسعير الجبرى ، وذلك إذا انخرفت التجارة بالطمع والجشع والغش والاستغلال .. وبالطبع لا يكون ذلك إلا كضرورة اقتصادية مؤقتة إلى أن تعود إلى أصولها المقررة شرعا .. وإذا كان ذلك من الدولة بمثابة التدخل المباشر الآتى ، فإن للدولة أيضا مجال آخر للتدخل المباشر ، وهو التدخل الدائم ... فما هي المجالات التى يجب على الدولة أن تتدخل فيها توصلا إلى معاملات اسلامية سليمة مستمرة ؟ ...

من أهم المجالات التى يجب على الدولة أن تتدخل فيها بصفة مستمرة مجال توزيع الثروة العامة بين المواطنين ، وحفظ التوازن المالى والاقتصادى فى المجتمع ، ونفقات بيت مال المسلمين ، وضمان الحاجات الأساسية لرعايا الدولة الاسلامية^(١) .

ومن أهم مبادئ المعاملات الاقتصادية فى الاسلام أيضا تحقيق قيام التبادل التجارى وتبادل المنافع الاقتصادية والعلمية المختلفة مع كافة الدول الأخرى على أساس المعاملة بالمثل ، ويشترط أن يكون التبادل فى المجالات المباحة وفقا للشريعة الاسلامية ، وذلك بمنع الاتجار فى السلع الضارة وتداولها ، وأن يرتبط هيكل المعاملات فى

(١) يمكن الرجوع فى ذلك بالتفصيل إلى كتاب الدكتور على محمد جريشة - المشروعية الإسلامية العليا - ص ٢٨ : ٨١ وكذلك كتاب الدكتور يوسف حامد العالم - النظام السياسى والاقتصادى فى الإسلام - ص ١١ : ٥٧ .

يختلف هذا الهيكل مع الدول التي تدين بعقائد سماوية عنه مع الدول التي لا تدين بمثل هذه العقائد ، وأن تختلف صورة التبادل مع هذه الدول جميعا في حالة السلم عنها في حالة الحرب .

كما تتضمن المعاملات الاسلامية مبدأ الالتزام في جميع حالات « التبادل » بقواعد (التبادل الاسلامية) التي تهدف إلى سيادة الثقة والصدق في التعامل ، ومن هذا المنطلق يحصل الأفراد على حرية كاملة في التبادل التجارى الخارجى في اطار (مصلحة المجتمع) . ودور (الدولة) هنا يتمثل في (مراقبة) النشاط التبادلى لضمان التوافق بين مصلحة المجتمع ، ومصلحة الفرد .. بحيث تكون الثمرة في النهاية هى الوفاء باحتياجات المسلمين وتنمية اقتصاد الدولة الاسلامية في اطار من (المزج) بين الحرية والحماية ... بحيث تتمكن (الدولة) من تنفيذ البرنامج الاقتصادى الكفائى والانمائى فى آن واحد .

للنظام الاقتصادي الاسلامي معالم واضحة ميزته على غيره من الأنظمة الأخرى وستعرض فيما يلي لأهم مميزاته باختصار :

أولاً : اتاحة الحرية الاقتصادية للأفراد في إطار لا ضرر ولا ضرار :
ومن مجالات الحرية الاقتصادية للأفراد حرية العمل في ظل أحسن سبل الاستخدام الممكنة ، قال رسول الله ﷺ :
« ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده » ، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ^(١) .. وقال أيضاً : « إن الله يحب المؤمنَ المخترِفَ » ^(٢) ... وقال عليه الصلاة والسلام :
« من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له » ^(٣) .

ومعروف أن العمل يتكون من عنصرين أساسيين هما : الجهد - والوقت ، وترجع أهميتها إلى أنها محدودان ، فالطاقة محدودة والعمر محدود ، بينما الحاجات والمطالب والرغبات لا تقف عند حد ، ولهذا نجد الاسلام - في سبيل المحافظة على الجهد والوقت من الضياع - يحدد للمؤمن الطريق المستقيم ليسلكه في كل (عمل) يقوم به ابتغاء وجه الله ، ويلزمه بالدعاء في كل صلاة ...

(١) صحيح البخارى .

(٢) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي .

(٣) الترغيب والتهديب ، ج ٢ - ص ٥٢٣ . ٥٢٤ .

الفصل الخامس

مميزات النظام الاقتصادي الإسلامي

وقال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (١) .
 وقال ﷺ ... « مَنْ يَكْفُلْ لِي أَلَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكْفُلْ لَهُ
 الْجَنَّةَ » (٢) .. ومن تعاليم نبي الاسلام أيضا (٣) « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ
 حَبْلَهُ ، ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ فَيَأْتِيَ بِحِزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَسْعَهَا
 فَيَكْفَأَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .
 وهذا يعنى أن الاسلام حريص على (العالة الكاملة) لكافة
 أفراد قوة العمل المتاحة بشرط أن توجه نحو الجهود (الانتاجية)
 المفيدة لجميع المسلمين ، والنافعة للفرد المسلم حتى يزداد قوة بجماعة
 المسلمين ، وتزداد قدرة المجتمع الاسلامى فى الانتاج والتنمية .
 ورغم كفالة الاسلام حرية العمل لسائر المسلمين فإن الاسلام
 لم ينس أن يهتم بتنمية (الكفاءات العاملة) بصفة مستمرة ، بحيث
 تؤدى عملها وفقا لأحدث الأساليب العلمية فى مجالات العمل
 المختلفة ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ :
 « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَمَنَّهُ » (٤)
 وقال جل من قائل عليم : ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ﴾ (٥)

والاسلام يوفر الحوافز الاقتصادية لكل من يعمل عملا يؤدي
 إلى حسن سير النشاط الاقتصادى يقول سبحانه وتعالى ...

-
- (١) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .
 (٢) صحيح مسلم .
 (٣) رواه البخارى .
 (٤) رواه البيهقى .
 (٥) سورة سبأ ، الآية ١١ .

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) ، لأن الطريق المستقيم هو أقصر الطرق ، وهو السبيل القاصد الذى يحقق أقصى منفعة بأقل جهد ، وفي الوقت المناسب بعون الله وتوفيقه .. قال تعالى ... ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَضُؤُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) .

فالاسلام يضع أُسُسَ (العمل) الذى يؤدى إلى الحصول على أقصى منفعة ممكنة بأقل التكاليف الممكنة حفظا للجهد وحرصا على الوقت ، ويرسم كيفية تطبيقها فى كل الأعمال تأكيذا للاقتصاد التطبيقي فى الاسلام . أما السبيل (الجائر) ... فهو الطريق المعوج المنحرف يستغرق سلوكه جهدا أكبر ، ووقتا أطول دون منفعة تذكر . وهو طريق المنحرفين .

والاسلام قرر أن (العمل) حق وواجب لأهميته فى قيام الحياة ونموها ، وتقدمها ، ومع ذلك من الأعمال ما هو (حلال) أمر الله تعالى به لصالح الانسان كالاصلاح وتحصيل الرزق الحلال والقيام بكل عمل صالح ، فقد سئل الرسول عليه الصلاة والسلام : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الاسلام . وقال سبحانه وتعالى ... ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ﴾^(٣) ، وقال تعالى ... ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٤) ، وقال تعالى .. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٥) ...

(١) سورة الفاتحة . الآية ٦ .

(٢) سورة النحل . الآية ٩ .

(٣) سورة الأعراف . الآية ١٧٠ .

(٤) سورة الكهف . الآية ٣٠ .

(٥) سورة فصلت . الآية ٤٦ .

المادية مع الثروة الروحية يقول سبحانه وتعالى ...
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١)
ومن مجالات الحرية الاقتصادية للأفراد حرية الملكية في ظل
أحسن سبل الاستخدام الممكنة .. فالاسلام هو النظام الوحيد
الذى نظم طرق التملك وقيوده ، والحقوق فيه ، ومآله ، تنظيمها
كاملا عادلا فطريا ، يحقق مصلحة الناس جميعا بميزان ينسجم مع
المهدف الصحيح للإنسان ، ومع الشخصية السليمة للإنسان ،
ومع الحياة الاقتصادية الصحيحة ، ومع الحق الذى ليس فيه
جور ، ومع المصلحة التى ليس فيها ظلم ، ومع الانصاف الذى
ليس فيه تعسف ، وكيف لا يكون وهو شرعة الله وصبغته ... قال
تعالى ...

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٢) ... وأى نظام للتملك غير
الاسلام تجدد فيه ثغرا وظلما وضررا ، ومجاوزه للحد ، وتفريطات في
الحقوق . ومن مميزات النظام الاقتصادى الاسلامى في مجال التملك
أنه حدد الطرق المحظورة وغير المشروعة للتملك مثل الربا ... وقد
روى عن عبد الله بن حنظلة (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد
من ستة وثلاثين زينة)^(٣) ... (الربا ثلاثة وسبعون بابا ، أيسرها
مثل أن ينكح الرجل أمه)^(٤) وهذه الحرمة تنصب على كل من له

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٣٨ .

(٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه الحاكم وقال العراقي استاده صحيح .

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾^(١)

ويقول سبحانه وتعالى ... ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٢)

وفي ذلك إشارة إلى وجوب مكافأة كل (عمل) يتم تنفيذه ضمانا لاستمرار مشاركة العاملين في الجهود الانتاجية ، بل إن الاسلام - علاوة على ذلك - جمع في مكافأته للعاملين بين الحوافز المادية والأدبية في الدنيا ، والثواب الأخروي في الحياة الآخرة والذي ليس له حدود لارتباطه بفضل الله العظيم في الدار الآخرة . قال تعالى .. ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)

وقال تعالى ... ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤)

والاسلام يقرر أن (العمل) لا يكون صالحا إلا إذا كان الدافع الأول عليه هو (الايمان) لأنه هو الذي يضع (العامل) وهو يعمل تحت (رقابة) الله سبحانه وتعالى فوق رقابه صاحب العمل ، وهو الذي يجعل العامل يرجو أجر الآخرة وأجر الدنيا معا فيؤديه بأمانة وإخلاص واثقان وإحسان وابتغاء وجه الله ، وبذلك تجتمع الثروة

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١٩ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٣٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ .

(٤) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨ .

المادية مع الثروة الروحية يقول سبحانه وتعالى ...
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١)
ومن مجالات الحرية الاقتصادية للأفراد حرية الملكية في ظل
أحسن سبل الاستخدام الممكنة .. فالاسلام هو النظام الوحيد
الذى نظم طرق التملك وقيوده ، والحقوق فيه ، ومآله ، تنظيمها
كاملا عادلا فطريا ، يحقق مصلحة الناس جميعا بميزان ينسجم مع
المهدف الصحيح للإنسان ، ومع الشخصية السليمة للإنسان ،
ومع الحياة الاقتصادية الصحيحة ، ومع الحق الذى ليس فيه
جور ، ومع المصلحة التى ليس فيها ظلم ، ومع الانصاف الذى
ليس فيه تعسف ، وكيف لا يكون وهو شرعة الله وصبغته ... قال
تعالى ...

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٢) ... وأى نظام للتملك غير
الاسلام تجدد فيه ثغرا وظلما وضررا ، ومجاوزه للحد ، وتفريطات في
الحقوق . ومن مميزات النظام الاقتصادى الاسلامى في مجال التملك
أنه حدد الطرق المحظورة وغير المشروعة للتملك مثل الربا ... وقد
روى عن عبد الله بن حنظلة (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد
من ستة وثلاثين زينة)^(٣) ... (الربا ثلاثة وسبعون بابا ، أيسرها
مثل أن ينكح الرجل أمه)^(٤) وهذه الحرمة تنصب على كل من له

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٣٨ .

(٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه الحاكم وقال العراقي استاده صحيح .

مشاركة في الربا ... عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال (لعن
 النبي ﷺ آكل الربا ، ومُوكَلَّه ، وكاتبه ، وشاهديه وقال : هم
 سواء) ^(١) .. وكما حدد الاسلام الطرق المحظورة وغير المشروعة
 للتملك مثل الربا ، فقد فتح طرقا تغني عنه ، اذ أنه سمح بشركة
 (المضاربة) وسمح بالسلم وحض على القرض الحسن المكفول ببيت
 (الزكاة) وبيت مال المسلمين . ومن ضوابط شرعية التملك في
 الاسلام تحريم القمار والميسر واليانصيب والسرقة والنصب
 والاختلاس ، وتحريم استغلال الحكم بكل أجزائه كوسيلة للكسب
 والتملك ... فقد ورد عن أبي حميد الساعدي رضى الله عنه قال
 (استعمل النبي ﷺ رجلا من (الأزد) يقال له ابن التبية ، على
 صدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إلى ، قال فقام النبي
 ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني أستعمل الرجل
 منكم على العمل مما ولاني الله فيأني فيقول هذا لكم وهذا هدية
 أهديت لي أفلا . جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتية ، إن كان
 صادقا والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله بحمله يوم
 القيامة فلا أعرف أحدا منكم لقي الله بحمل بغيرا له رغبة أو بقرة لها
 خوار أو شاة تعير ، ثم رفع يديه حتى رأى بياض ابطنيه ، يقول :
 (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ) ^(٢) ...

ومن ضوابط الملكية في الاسلام تحريم التملك عن طريق
 الاحتكار . فقد ورد فيها ورد في ذلك ، عن عمر رضى الله عنه قال

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

المادية مع الثروة الروحية يقول سبحانه وتعالى ...
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١)
ومن مجالات الحرية الاقتصادية للأفراد حرية الملكية في ظل
أحسن سبل الاستخدام الممكنة .. فالاسلام هو النظام الوحيد
الذى نظم طرق التملك وقيوده ، والحقوق فيه ، ومآله ، تنظيمها
كاملا عادلا فطريا ، يحقق مصلحة الناس جميعا بميزان ينسجم مع
المهدف الصحيح للإنسان ، ومع الشخصية السليمة للإنسان ،
ومع الحياة الاقتصادية الصحيحة ، ومع الحق الذى ليس فيه
جور ، ومع المصلحة التى ليس فيها ظلم ، ومع الانصاف الذى
ليس فيه تعسف ، وكيف لا يكون وهو شرعة الله وصبغته ... قال
تعالى ...

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٢) ... وأى نظام للتملك غير
الاسلام تجد فيه ثغرا وظلما وضرا ، ومجاوزه للحد ، وتفريطات في
الحقوق . ومن مميزات النظام الاقتصادى الاسلامى في مجال التملك
أنه حدد الطرق المحظورة وغير المشروعة للتملك مثل الربا ... وقد
روى عن عبد الله بن حنظلة (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد
من ستة وثلاثين زينة)^(٣) ... (الربا ثلاثة وسبعون بابا ، أيسرها
مثل أن ينكح الرجل أمه)^(٤) وهذه الحرمة تنصب على كل من له

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٣٨ .

(٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه الحاكم وقال العراقي استاده صحيح .

على أموال الكافرين والمحاربين قهرا إذا لم يكن عهد . وكذلك الأخذ عن طريق استحقاق حقوق حددتها الشارع ، وكذلك ما يملك بواسطة المعاوضة بالتراضي إذا روعى فيه ما شرط الشارع في العوضين والعاقدين واللفظين ويدخل في ذلك (المعاوضة) عن طريق البيوع الصحيحة والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض أو المضاربة والشركة والمساقاة أو المزارعة أو الشفقة ، والصلح والخلع والصدقات إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه من طرق المعاوضات المشروعة ^(١) . كما أباح الاسلام حرية التملك فيما يؤخذ عن رضا من غير عوض (إذا) روعى فيه ما يلزم كالهبات والوصايا والصدقات ، وما يؤخذ عن طريق الإرث بحق وهو (حلال) بعد قضاء الديون وإخراج الحقوق والوصايا المشروعة .

ولكن الاسلام لم يترك حرية الملكية فيما سبق ذكره ، بلا قيود ، وإنما وضع قيودا تحدد (حرية) الانسان في تصرفه في ملكه المشروع ، فقد حرم الاسلام على (المالك) اتلاف ما يملك ، وفرض عليه بيع ما يضطر إليه الناس ، وحرّم التبذير والاسراف ، وأجاز (الحجر) على المالك إذا تصرف بهما ، وقيد تصرف الانسان بملكه بما لا يضر الآخرين اذ الحديث كما سبق أن ذكرنا (لا ضرر ولا ضرار) ^(٢) .

وقرر الاسلام أنه إذا تعلق حق العامه ومصلحتهم بملك إنسان سقطت حرته في التصرف بهذا الشيء ، ولكن لا يسقط حقه

(١) سعيد حوى - الإسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه ، وقال النووي حديث حسن .

وأقرت الشريعة الإسلامية أن عدم الانتفاع بتلك الموارد والنعم والهبات الإلهية غير مسموح به في الإسلام . كما أقرت ضمان أكبر توزيع للملكية عن طريق التنظيمات التي يقررها الإسلام وتعاليمه الأخلاقية ، فالموارد الاقتصادية المتاحة يجب أن تظل متداولة بين جميع طبقات الأمة الإسلامية بشرط أن تستخدم باستمرار - وبطريقة شرعية من أجل فائدة الفرد والجماعة .

ثالثاً : الجمع في أسلوب التخطيط الاقتصادي بين التخطيط بالاقناع والتخطيط والتوجيه

يرى كثير من الاقتصاديين المسلمين أن النظام الاقتصادي الإسلامي يمتاز بالجمع في أسلوب التخطيط الاقتصادي بين التخطيط بالاقناع والتخطيط بالتوجيه ، على أساس أن القرآن والسنة يدعوان إلى الجمع بين القيم الروحية والمادية في الحياة ، ولذلك فإن الأعمال الدنيوية قد حث عليها القرآن والأحاديث النبوية الشريفة مرارا وتكرارا ... إذ يقول جل من قائل علم ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .

والتخطيط الحديث ما هو إلا (استغلال) فضل الله الذي ذكرته الآية الكريمة بطريقة منظمة لتحقيق أهداف معينة مع مراعاة حاجات الأمة المتغيرة وقيم الحياة ، وبمعنى أوسع فإن التخطيط يعني

(١) سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

جميع المسلمين ، فقد بين لنا أن الله قد سخر الكون للناس ،
وبينت تعاليم الاسلام إلغاء الاستحالة والعجز والكسل من السلوك
الانسانى وما يستدعيه من البحث فى أنماط الموارد الاقتصادية فى
الأرض وكيفية الإفادة منها فى تقدم المجتمعات البشرية .
قال سبحانه وتعالى ... ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾^(١) .

وقال سبحانه وتعالى ... ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا﴾^(٢) .. وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً﴾^(٣) ..

وقال سبحانه وتعالى ... ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَابِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ
وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ
إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاحِجٍ مُنَافٍ فَانْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَسْقَيْنَا كُمُوهَ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^(٤) .

من هذه الآيات الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى قد سخر
للإنسان كل ما فى الكون من موارد ، لا ليركها بدون استفادة وإنما
لكى يستفيد منها فى أمور حياته وليستدل بها على خالقه سبحانه
وتعالى وليتعاون مع سائر بنى الانسان فى سبيل تحقيق الخلافة فى
الأرض .

(١) سورة الأعراف - الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٩ .

(٣) سورة لقمان - الآية ٢٠ .

(٤) سورة الحج - الآيات ١٩ - ٢٢ .

وأقرت الشريعة الإسلامية أن عدم الانتفاع بتلك الموارد والنعم والهبات الإلهية غير مسموح به في الإسلام . كما أقرت ضمان أكبر توزيع للملكية عن طريق التنظيمات التي يقررها الإسلام وتعاليمه الأخلاقية ، فالموارد الاقتصادية المتاحة يجب أن تظل متداولة بين جميع طبقات الأمة الإسلامية بشرط أن تستخدم باستمرار - وبطريقة شرعية من أجل فائدة الفرد والجماعة .

ثالثاً : الجمع في أسلوب التخطيط الاقتصادي بين التخطيط بالاقناع والتخطيط والتوجيه

يرى كثير من الاقتصاديين المسلمين أن النظام الاقتصادي الإسلامي يمتاز بالجمع في أسلوب التخطيط الاقتصادي بين التخطيط بالاقناع والتخطيط بالتوجيه ، على أساس أن القرآن والسنة يدعوان إلى الجمع بين القيم الروحية والمادية في الحياة ، ولذلك فإن الأعمال الدنيوية قد حث عليها القرآن والأحاديث النبوية الشريفة مرارا وتكرارا ... إذ يقول جل من قائل علم ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .

والتخطيط الحديث ما هو إلا (استغلال) فضل الله الذي ذكرته الآية الكريمة بطريقة منظمة لتحقيق أهداف معينة مع مراعاة حاجات الأمة المتغيرة وقيم الحياة ، وبمعنى أوسع فإن التخطيط يعني

(١) سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

على أموال الكافرين والمحاربين قهرا إذا لم يكن عهد . وكذلك الأخذ عن طريق استحقاق حقوق حددتها الشارع ، وكذلك ما يملك بواسطة المعاوضة بالتراضي إذا روعى فيه ما شرط الشارع في العوضين والعاقدين واللفظين ويدخل في ذلك (المعاوضة) عن طريق البيوع الصحيحة والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض أو المضاربة والشركة والمساقاة أو المزارعة أو الشفقة ، والصلح والخلع والصدقات إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه من طرق المعاوضات المشروعة ^(١) . كما أباح الاسلام حرية التملك فيما يؤخذ عن رضا من غير عوض (إذا) روعى فيه ما يلزم كالهبات والوصايا والصدقات ، وما يؤخذ عن طريق الإرث بحق وهو (حلال) بعد قضاء الديون وإخراج الحقوق والوصايا المشروعة .

ولكن الاسلام لم يترك حرية الملكية فيما سبق ذكره ، بلا قيود ، وإنما وضع قيودا تحدد (حرية) الانسان في تصرفه في ملكه المشروع ، فقد حرم الاسلام على (المالك) اتلاف ما يملك ، وفرض عليه بيع ما يضطر إليه الناس ، وحرم التبذير والاسراف ، وأجاز (الحجر) على المالك إذا تصرف بهما ، وقيد تصرف الانسان بملكه بما لا يضر الآخرين اذ الحديث كما سبق أن ذكرنا (لا ضرر ولا ضرار) ^(٢) .

وقرر الاسلام أنه إذا تعلق حق العامه ومصلحتهم بملك إنسان سقطت حرته في التصرف بهذا الشيء ، ولكن لا يسقط حقه

(١) سعيد حوى - الإسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه ، وقال النووي حديث حسن .

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(١) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه ^(١) ، وشركات العنان ^(٢) ، وشركات الأبدان ^(٣) وشركات الوجوه ^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

-
- (١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .
 - (٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .
 - (٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاذ مهنة المؤسسين لها .
 - (٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .
- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .
- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .
- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

على أموال الكافرين والمحاربين قهرا إذا لم يكن عهد . وكذلك الأخذ عن طريق استحقاق حقوق حددتها الشارع ، وكذلك ما يملك بواسطة المعاوضة بالتراضي إذا روعى فيه ما شرط الشارع في العوضين والعاقدين واللفظين ويدخل في ذلك (المعاوضة) عن طريق البيوع الصحيحة والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض أو المضاربة والشركة والمساقاة أو المزارعة أو الشفقة ، والصلح والخلع والصدقات إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه من طرق المعاوضات المشروعة ^(١) . كما أباح الاسلام حرية التملك فيما يؤخذ عن رضا من غير عوض (إذا) روعى فيه ما يلزم كالهبات والوصايا والصدقات ، وما يؤخذ عن طريق الإرث بحق وهو (حلال) بعد قضاء الديون وإخراج الحقوق والوصايا المشروعة .

ولكن الاسلام لم يترك حرية الملكية فيما سبق ذكره ، بلا قيود ، وإنما وضع قيودا تحدد (حرية) الانسان في تصرفه في ملكه المشروع ، فقد حرم الاسلام على (المالك) اتلاف ما يملك ، وفرض عليه بيع ما يضطر إليه الناس ، وحرم التبذير والاسراف ، وأجاز (الحجر) على المالك إذا تصرف بهما ، وقيد تصرف الانسان بملكه بما لا يضر الآخرين اذ الحديث كما سبق أن ذكرنا (لا ضرر ولا ضرار) ^(٢) .

وقرر الاسلام أنه إذا تعلق حق العامه ومصلحتهم بملك إنسان سقطت حرته في التصرف بهذا الشيء ، ولكن لا يسقط حقه

(١) سعيد حوى - الإسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه ، وقال النووي حديث حسن .

وأقرت الشريعة الإسلامية أن عدم الانتفاع بتلك الموارد والنعم والهبات الإلهية غير مسموح به في الإسلام . كما أقرت ضمان أكبر توزيع للملكية عن طريق التنظيمات التي يقررها الإسلام وتعاليمه الأخلاقية ، فالموارد الاقتصادية المتاحة يجب أن تظل متداولة بين جميع طبقات الأمة الإسلامية بشرط أن تستخدم باستمرار - وبطريقة شرعية من أجل فائدة الفرد والجماعة .

ثالثاً : الجمع في أسلوب التخطيط الاقتصادي بين التخطيط بالاقناع والتخطيط والتوجيه

يرى كثير من الاقتصاديين المسلمين أن النظام الاقتصادي الإسلامي يمتاز بالجمع في أسلوب التخطيط الاقتصادي بين التخطيط بالاقناع والتخطيط بالتوجيه ، على أساس أن القرآن والسنة يدعوان إلى الجمع بين القيم الروحية والمادية في الحياة ، ولذلك فإن الأعمال الدنيوية قد حث عليها القرآن والأحاديث النبوية الشريفة مرارا وتكرارا ... إذ يقول جل من قائل علم ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .

والتخطيط الحديث ما هو إلا (استغلال) فضل الله الذي ذكرته الآية الكريمة بطريقة منظمة لتحقيق أهداف معينة مع مراعاة حاجات الأمة المتغيرة وقيم الحياة ، وبمعنى أوسع فإن التخطيط يعني

(١) سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

شريعة الاسلام تفرض على صاحب الممتلكات القيام بمسئوليته نحو أعضاء المجتمع الاسلامي حسباً نعليه تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وإذا امتنع ، فللدولة الحق في التدخل وتجريده من ممتلكات . ويقال أن عمر بن الخطاب استعاد بعضاً من الأرض التي كان عليه عليه السلام قد منحها لبلال بن الحارث ^(١) .

ويمكن القول إن التعاون بين القطاعين الخاص والعام هو الأساس الذي يقوم عليه التخطيط الاقتصادي في الاسلام ، وفي حالة فشل هذا التعاون فإن الدولة تستطيع أن تتدخل من أجل تحقيق الأهداف الاجتماعية من التخطيط الاقتصادي لسائر المسلمين في الدولة ^(٢) .

وليست بالطبع هذه كل مميزات النظام الاقتصادي في الاسلام فغيرها كثير وكثير جداً من ذلك المساواة الاجتماعية بين المسلمين جميعاً ، وتحقيق رفاهية الدولة والمواطنين في آن واحد ، والحفاظ على القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حسباً تلميه مفاهيم الاسلام ، وتنظيم الميزانية في شكل متوازن بين الحاجات والكماليات ووضع الأولويات التي تخدم أمة الاسلام ، وتسيير مبادئ التجارة في قنوات الربح الحلال ، والاهتمام بتنمية عناصر الانتاج بما يحقق القوة للدولة الاسلام ^(٣) .

(١) م. ا. منان - المرجع السابق - ص ٢٦٣ .

(٢) محمد كمال الجرف - النظام المالي الإسلامي - مطبعة النهضة الجديدة - القاهرة سنة ١٩٧٠م - ص ١٣ : ٣٥ .

(٣) محمود عبد المولى - أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام - الشركة التونسية للتوزيع - تونس سنة ١٩٧٣م - ص ٧٩ : ٨٤ .

لم يكد إيوان كسرى يتهدم ، وحدود قيصر تتراجع ، ويتحرر الوطن العربى كله وبقاع أخرى من أرض العالم القديم آسيا وأفريقية وأوروبا من الوثنية والاحداد ، ولم يكد أهل هذه الأمم يدخلون فى الاسلام حتى شمل الجميع دين سمح كريم ، دين الاسلام الحنيف . وظهرت حضارة الاسلام شاملة لكل نواحى الفكر والثقافة والعلوم والتطبيق .

ودارت الأيام .. وانهارت حضارة العرب الاسلامية أمام جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ وكان الفراغ الحضارى الموحش الذى أحدثه سقوط الدولة العربية مدعاة لاغراء كل القوى الممجية الأوروبية المتربصة بالعالم الاسلامى لنهب ثرواته الفكرية والعلمية والحضارية ونقلها إلى أوروبا ... وهكذا بينما قام حكم الدويلات فى الداخل^(١) ، أخذت (أوروبا) التى لم تنس ولن تنسى خروج هرقل من الشام ومصر - تعد جيوشها الصليبية لغزو بلاد المسلمين ، وبدأ الوطن العربى الجريح بقيادة زعماء المماليك فى مصر يدافع بأبنائه العرب فى مغيب الشمس عن حوزة الوطن والدين ، ونجح المقاتلون فى أن يلهمو قاداتهم الغرباء فضائل القتال ، وظهرت قيادة علماء

(١) أحمد موسى سالم - لماذا ظهر الإسلام فى جزيرة العرب - دار الجيل - بيروت - ص ١٣٧ : ١٣٨ .

على أموال الكافرين والمحاربين قهرا إذا لم يكن عهد . وكذلك الأخذ عن طريق استحقاق حقوق حددتها الشارع ، وكذلك ما يملك بواسطة المعاوضة بالتراضي إذا روعى فيه ما شرط الشارع في العوضين والعاقدين واللفظين ويدخل في ذلك (المعاوضة) عن طريق البيوع الصحيحة والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض أو المضاربة والشركة والمساقاة أو المزارعة أو الشفقة ، والصلح والخلع والصدقات إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه من طرق المعاوضات المشروعة ^(١) . كما أباح الاسلام حرية التملك فيما يؤخذ عن رضا من غير عوض (إذا) روعى فيه ما يلزم كالهبات والوصايا والصدقات ، وما يؤخذ عن طريق الإرث بحق وهو (حلال) بعد قضاء الديون وإخراج الحقوق والوصايا المشروعة .

ولكن الاسلام لم يترك حرية الملكية فيما سبق ذكره ، بلا قيود ، وإنما وضع قيودا تحدد (حرية) الانسان في تصرفه في ملكه المشروع ، فقد حرم الاسلام على (المالك) اتلاف ما يملك ، وفرض عليه بيع ما يضطر إليه الناس ، وحرّم التبذير والاسراف ، وأجاز (الحجر) على المالك إذا تصرف بهما ، وقيد تصرف الانسان بملكه بما لا يضر الآخرين اذ الحديث كما سبق أن ذكرنا (لا ضرر ولا ضرار) ^(٢) .

وقرر الاسلام أنه إذا تعلق حق العامه ومصلحتهم بملك إنسان سقطت حرته في التصرف بهذا الشيء ، ولكن لا يسقط حقه

(١) سعيد حوى - الإسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه ، وقال النووي حديث حسن .

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(١) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه^(١) ، وشركات العنان^(٢) ، وشركات الأبدان^(٣) وشركات الوجوه^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

(١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .

(٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .

(٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاد مهنة المؤسسين ذاتاً .

(٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .

- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .

- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .

- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

الدين العرب لتفرض على (الأتابك) والأمراء والسلاطين ضرورات
المواجهة للعدو الصليبي المشترك.. وظهر صلاح الدين المسلم الكردي
الذى عربه الاسلام وصقله الايمان ، فكان بطل اللحظات
الخطرة ، والسيف الذى قصم الله به ظهر الحروب الصليبية ،
ودفعها إلى نهايتها الفاشلة ولم ينجح المغول كذلك فى غزو مصر ،
فقد كان بها صفوة علماء العرب والمسلمين الذين ردوا فى الواقع
الغارة وهم يدفعون المالك من ظهورهم للقتال ويشتكون
معهم^(١) .

ومما لا شك فيه أن الحروب الصليبية كانت درساً قاسياً لأوروبا
وضربة موجعة على أيديهم المتسارعة الجشعة فى الطريق إلى نهب
الوطن العربى ونقل حضاراته ، وكانت أيضاً مصدر تحول فى
التفكير باتجاه تصحيح الكثير من معلوماتهم العلمية والحضارية
القاصرة ، فلقد نقلوا معهم بعد العزيمة إحساساً قوياً بالمرارة من
(تخلفهم) وشعوراً بالاحترام الجبرى للمسلمين وإن كانوا
أعداءهم^(٢) ، وبالحاجة الشديدة إلى التعليم منهم ، وتغيير منهجهم
فى التفكير والاقتصاد والعمران وكذلك نظرهم إلى الانسان
وقيمته ، وحقوقه من خلال معنى جديد لكلمة «الناس» المغايرة
تماماً لمفهوم الألقاب الطبقية التى تقلص تحتها جماعات الرعايا
البائسين وهى تتحطم تحت وطأة القهر والتجهيل والجوع
والاستغلال .

(١) عباس محمود العقاد - الإسلام دعوة عالمية - المكتبة العصرية بيروت ص ٣٧: ٦٨ .

(٢) د. غرب الجبال - النشاط الاقتصادى فى ضوء الشريعة الإسلامية - دار الشروق ص ٢٠ .

لم يكد إيوان كسرى يتهدم ، وحدود قيصر تتراجع ، ويتحرر الوطن العربي كله وبقاع أخرى من أرض العالم القديم آسيا وأفريقية وأوروبا من الوثنية والاحداد ، ولم يكد أهل هذه الأمم يدخلون في الاسلام حتى شمل الجميع دين سمح كريم ، دين الاسلام الحنيف . وظهرت حضارة الاسلام شاملة لكل نواحي الفكر والثقافة والعلوم والتطبيق .

ودارت الأيام .. وانهارت حضارة العرب الاسلامية أمام جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ وكان الفراغ الحضارى الموحش الذى أحدثه سقوط الدولة العربية مدعاة لاغراء كل القوى الممجية الأوروبية المتربصة بالعالم الاسلامى لنهب ثرواته الفكرية والعلمية والحضارية ونقلها إلى أوروبا ... وهكذا بينما قام حكم الدويلات فى الداخل^(١) ، أخذت (أوروبا) التى لم تنس ولن تنسى خروج هرقل من الشام ومصر - تعد جيوشها الصليبية لغزو بلاد المسلمين ، وبدأ الوطن العربى الجريح بقيادة زعماء المماليك فى مصر يدافع بأبنائه العرب فى مغيب الشمس عن حوزة الوطن والدين ، ونجح المقاتلون فى أن يلهمو قاداتهم الغرباء فضائل القتال ، وظهرت قيادة علماء

(١) أحمد موسى سالم - لماذا ظهر الإسلام فى جزيرة العرب - دار الجيل - بيروت - ص ١٣٧ : ١٣٨ .

وعرف تجارى أثناء ما كانوا يجوبون الأسواق والمعارض . وقد اقتبس أهل أوروبا أحسن ما فى عادات العرب التجارية القائمة على شريعة الله ، كما نقل التجار الأوروبيون إلى بلادهم ما ارتسم فى أذهانهم من المفاهيم الاسلامية وأسس التعامل الاقتصادى فى الاسلام ، ومن ثم فقد استفادت أوروبا من ذلك واستعانت بالمفاهيم الاسلامية فى تحويل الأحكام الرومانية وتطويرها إلى الاتجاه الجديد^(١) .

ولقد كان لفقهاء الشريعة الاسلامية الأثر الاعظم فى تطوير النظم الاقتصادية الاوربية بعد انتقال افكارهم ومؤلفاتهم إلى اوربا ، ومن هؤلاء : الامام الغزالى وما كتبه فى (احياء علوم الدين)^(٢) والجاحظ فى رسالته (فى التجارة) وابو الفضل جعفر ابن على الدمشقى فى كتاب (الاشارة الى محاسن التجارة) حيث تعرض هؤلاء الفقهاء للاحتراف بالتجارة وشروط من يزاوئها ، فاشتراط الامام اللبثى لمن يشتغل بها ان يحفظ كتاب (البيوع) وإلا لا يحل له الاشتغال بها ، ومن فقهاء المسلمين الذين انتقلت افكارهم إلى اوربا والتي تتصل بالنشاط الاقتصادى الامام محمد الشيبانى ، صاحب ابى حنيفة المتوفى سنة ٢٣٤هـ . فقد ترك لنا كتابه الجليل (الاكتساب فى الرزق) الذى يعتبره اقتصاديو الغرب موسوعة فى الفكر الاقتصادى والمعاملات التجارية . وابن خلدون فى مقدمته التى ظهرت سنة ٧٨٤هـ والتي لا تختلف إلا اختلافاً

(١) عباس محمود العقاد - المرجع السابق - ص ٦٩ : ٧٣ .

(٢) الإمام الغزالى - إحياء علوم الدين - (عقد البيع) - ج ٢ - ص ٤٩ : ٦٣ .

لم يكد إيوان كسرى يتهدم ، وحدود قيصر تتراجع ، ويتحرر الوطن العربى كله وبقاع أخرى من أرض العالم القديم آسيا وأفريقية وأوروبا من الوثنية والاحداد ، ولم يكد أهل هذه الأمم يدخلون فى الاسلام حتى شمل الجميع دين سمح كريم ، دين الاسلام الحنيف . وظهرت حضارة الاسلام شاملة لكل نواحي الفكر والثقافة والعلوم والتطبيق .

ودارت الأيام .. وانهارت حضارة العرب الاسلامية أمام جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ وكان الفراغ الحضارى الموحش الذى أحدثه سقوط الدولة العربية مدعاة لاغراء كل القوى الممجية الأوروبية المتربصة بالعالم الاسلامى لنهب ثرواته الفكرية والعلمية والحضارية ونقلها إلى أوروبا ... وهكذا بينما قام حكم الدويلات فى الداخل^(١) ، أخذت (أوروبا) التى لم تنس ولن تنسى خروج هرقل من الشام ومصر - تعد جيوشها الصليبية لغزو بلاد المسلمين ، وبدأ الوطن العربى الجريح بقيادة زعماء المماليك فى مصر يدافع بأبنائه العرب فى مغيب الشمس عن حوزة الوطن والدين ، ونجح المقاتلون فى أن يلهمو قاداتهم الغرباء فضائل القتال ، وظهرت قيادة علماء

(١) أحمد موسى سالم - لماذا ظهر الإسلام فى جزيرة العرب - دار الجيل - بيروت - ص ١٣٧ : ١٣٨ .

تعريفًا جيدًا لقيمة التبادل وتقسيم العمل ورفاهية المجتمع وفي ذلك يقول : « إذا كان كل فرد مشغولاً بصنع طعامه وثيابه ومسكنه وأدواته وجميع حاجاته ، فإنه لن يبق حياً بسبب عدم استطاعته تأمين قوته وضروراته خلال تلك الفترة (الطويلة) التي يتطلبها صنع الأشياء الضرورية سالفة الذكر .. ومع ذلك فإن تعاون الناس مع بعضهم وتولى كل فرد حرفة معينة ينتج منها أكثر مما يكفي لاستهلاكه الخاص وتبادل الفائض منها بين الأفراد » لما يجعل الوسائل والسلع الاقتصادية متاحة للجميع ، وهكذا نجد أن حكمة الله تعالى قد اقتضت تنوع أنشطة الناس وأذواقهم لكي يحترفوا مهناً مختلفة . وهذا التقسيم للعمل هو ما أخذت به أوروبا في عصر النهضة ، ولو كانت قد طبقت بالحرفية والدقة لانتهى الأمر بالبشرية إلى تشكيل هيكل دولي ونظامي اقتصادي للبشرية جمعاء ، وهناك غير ابن خلدون والطوسي كثير من المفكرين الإسلاميين أمثال أبو يوسف (٧٩٨م) ، يحيى بن آدم (٨١٨م) والحريري (١٠٥٤ - ١١٢٣م) ممن ساهموا في وضع أسس علم الاقتصاد واعتمدت أوروبا عليهم في اتجاهاتها الاقتصادية المختلفة ، وهم الذين حددوا معالمه ودرسوا مواضيعه على أسس علمية ، وانطلاقاً من هذه النظرة ، يمكن اعتبار هؤلاء المفكرين الإسلاميين رواداً للكتاب التجاريين والطبيين والتقليديين في أوروبا^(١) .

وقد فطن الباحثون في أوروبا إلى عظمة المفاهيم الإسلامية

(١) م. ا. منان - المرجع السابق - ص ١٠ : ١٧ .

والاقتصادية^(١) ، وانعكس ذلك على تركيز الثروة والقوة الطبقات
التجار في أوروبا ، ونشأت تبعاً لذلك المدن التجارية .. وهكذا
دخلت المفاهيم الاقتصادية الإسلامية إلى أوروبا مع رزم الأقمعة من
موانئ العرب على البحر المتوسط .. وقبل انتقال الثقل التجارى من
سواحل المسلمين على البحر المتوسط الى اوروبا ، كانت تلك القارة
باسرها غارقة في الفقر لدرجة انه لم يكن عندها من المحصولات
الاهلية ، ولا المال ما يكفي للمبادلة مع بضائع المسلمين ، فكان
المخاطرون الاوائل من تجار ايطاليا يخطفون الاولاد من القرى
المجاورة ، ويدفعونهم اجرة لامتعتهم مع شحن اللحم الانساني^(٢) .

ولا يكون المرء مبالغاً إذا قال ان اول اجزاء أوروبا في التقدم من
طور الهمجية هو الذى كان تحت نفوذ الثقافة العربية مباشرة : اى
الداخل في الحدود الاسبانية والمشمتمل على (قطالونيا)
و (براونس) و (صقلية) .. ويمكن القول إنه من المحتمل جداً انه
لوم يكن العرب لما ظهرت الحضارة الأوروبية الحديثة ابداً ، ولكنه
مؤكد حتماً انه لولاهم لما اتصفت أوروبا بتلك الصفة التى مكنتها من
التفوق على جميع الادوار السابقة من الارتقاء .

وبينما كانت الطبقات الحاكمة في أوروبا - سواء كانت قسيسين
أو أمراء - تنظر إلى التجارة وما يتعلق بالاعمال الاقتصادية نظرة

ABAIC Translation with Annotations, 13y El-Syd Abu-El-Nasr Ahmad (١)
El-Hussini. pp. 160-165.

(٢) روبرت بريغالت - تكوين الإنسانية - ترجمة السيد أبو النصر أحمد الحسيني - دار
الكتب الحديثة - ص ١٦٤ .

وتعاليمه الاخلاقية كما تنعكس في القرآن الكريم والسنة النبوية . وهو ايضا محدد لأن الدولة الاسلامية لا تستطيع ان تشجع كل الانشطة الاقتصادية . فالانشطة التي لا يمكن ان تزيد الرفاهية الانسانية ، لا يؤيدها المفهوم الاقتصادي في الاسلام^(١) . وفي ذلك يقول (ولفرد كانتول سميث) : « إن المفهوم الاسلامي هو اجدى واثبت تجربة تمت لتحقيق العدالة بين الناس وتمثل النظرية الاسلامية في ضمان نصيب لائق وكرم من الحياة لكل فرد ، وبياح لكل فرد ان يكسب فوق هذا الحد ، بقدر اجتهاده في عمله ، الامر الذي يؤدي إلى قيام درجات اقتصادية نتيجة للتفاوت في الكسب تبعا لتفاوت القدرة والاستعداد ، وحتى لا تتفاقم هذه الطبقات الاجتماعية ، كما فرض حدا اعلى من الدخول ليحول دون ذلك ، وليعمل كصمام أمن ضد تركز الدخول والثروات في ايدي افراد قلائل . والهدف اقامة مجتمع (لا طبق) يضع فيه الافراد في درجات اقتصادية تبعا لعملهم ، وقدراتهم في حدين أدنى واعلى للمعيشة ، وكلما اقترب الحدان كلما كان ذلك دليلا على توافر المساواة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية »^(٢) .

وجدير بالذكر هنا ان الحركة الصناعية والتجارية للشرق العربي وللعرب في الاندلس ، وفي صقلية ، وما سايرها من نمو الفكر الاقتصادي الإسلامي آنذاك كل ذلك وراء نهضة أوروبا التجارية

(١) د. علي عبد الرسول - المرجع السابق - ص ٢٧٨ : ٢٨٠ .

وكذلك : تاريخ القمن الإسلامي لجورج زيدان - الجزء الأول - ص ١٩ : ٢٥ .

وكذلك : تاريخ الحضارة الإسلامية - لأبي زيد شلبي - الجزء الأول - ص ٣١٤ .

(٢) أنور الجندي - المرجع السابق - ص ٣٠٥ .

— Effect of Islamic Culture in the making of Humanity.

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(١) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه ^(١) ، وشركات العنان ^(٢) ، وشركات الأبدان ^(٣) وشركات الوجوه ^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

(١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .

(٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .

(٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاد مهنة المؤسسين ذاتاً .

(٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .

- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .

- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .

- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

ازدراء واحتقار - وظل هذا المفهوم مسيطرا عليها حتى القرن الحادى عشر الميلادى - سيطر العالم الاسلامى على شئون التجارة وطبقوا فيها اساليب تمشى مع روح الشريعة الاسلامية ، واضحى التبادل التجارى واصوله وأسس وقواعده فى ايدى العالم الاسلامى بلا منازع ، ولم يكن هناك - آنذاك - بين بلدانه العديدة الشاسعة حواجز جمركية ، ولا حدود تقف مانعة امام تبادل البضائع اللازمة لضرورات الحياة ، فازدهر الاقتصاد فى ظل التجارة الاسلامية ، وشئون المواصلات التى بلغت حد المثلثة ، لدرجة ان النشاط التجارى سار فى البر والبحر باقصى سرعة دون هدوء أو توقف ، واستطاعت العبقرية الاقتصادية عند التجار المسلمين فى ذلك الوقت الحصول على أرباح طائلة .. وكانت التجارة آنذاك (فى العالم الاسلامى) قائمة على اساس : (النظام الاقتصادى الحر)^(١) فأصبح المكسب المادى هدفا لكل طموح لأن الفكرة التى كانت سائدة فى المجتمع آنذاك : ان من كثر ماله ارتفع قدره بين الناس ،

(١) النظام الاقتصادى الحر من سمات الرأسمالية ، وهو يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج المادية ، وبدون الملكية الخاصة فانه يستحيل تصور وجود اقتصاد حر يؤمن أساسا بالدوافع الفردية . وإذا كانت الحكومة لا تعمل على التنسيق بين الجهود الانتاجية لمواطنيها فان التنسيق سوف يكون نتيجة حتمية لوجود النظام الاقتصادى الحر . ويذكر لنا «كارفر» فى كتابه (مبادئ الاقتصاد القومى) بأن الملكية توجد بطريقة تلقائية وضرورية فى كل جماعة يحافظ فيها على حقوق الفرد ضد العنف ، وإذا كانت هناك حماية للفرد ضد العنف فانه سوف يحتفظ بأى شيء فى حوزته إلى أن يرى أنه من الأوفق له أن يتنازل عنه طواعية واختيارا . وقد انتقل المذهب الحر من بلدان العالم الاسلامى إلى أوروبا حيث ظهر فى ثوب جديد مرة أخرى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى (فرنسا) حيث ظهر الفيزيوقرات Les Physiocrates وإليهم ينسب هذا المبدأ فى صورته الجديدة .

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(١) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه ^(١) ، وشركات العنان ^(٢) ، وشركات الأبدان ^(٣) وشركات الوجوه ^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

-
- (١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .
 - (٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .
 - (٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاذ مهنة المؤسسين لها .
 - (٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .
- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .
- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .
- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

باطراف التعامل .

ولا يفكر احد ان تلك المفاهيم الاسلامية عن (النقود) كانت اللبنة الاولى فى بناء (نظرية كمية النقود) Quantity Theory of Money فى أوروبا .. إذ ان جوهر هذه النظرية مقتبس من افكار (ابن المقرئى) و (ابن قيم الجوزية) و (ابن عابدين) وغيرهم من علماء المسلمين .

ما الدليل على ذلك ؟

الدليل على ذلك ان (نظرية كمية النقود) فى أوروبا ترى نفس ما قال به علماء المسلمين من ان قيمة النقود تتوقف على كميتها ، وترى ان التغيرات فى قيمة النقود - إذا بقيت الأسعار الاخرى على حالها - تتناسب تناسباً عكسياً مع التغيرات فى كمية النقود ، فإذا أصبحت كمية النقود ضعف ما كانت عليه من قبل ، فإن الأسعار ستكون ضعف ما كانت عليه . أى ان قيمة النقود تصبح نصف ما كانت عليه . وقد طورت هذه النظرية . على يد الاقتصادى الأمريكى (ارفنج فيشر) Arfing Fisher ولم تخرج النظرية عن المفاهيم التى سبق اليها ابن قيم الجوزية منذ مئات السنين ، إذ تقول النظرية : ان :

$$م \times ع = ق \times س$$

بافتراض ان م = كمية النقود

وان ع = سرعة تداول النقود (متوسط عدد المرات التى تداول فيها

لم يكد إيوان كسرى يتهدم ، وحدود قيصر تتراجع ، ويتحرر الوطن العربى كله وبقاع أخرى من أرض العالم القديم آسيا وأفريقية وأوروبا من الوثنية والاحداد ، ولم يكد أهل هذه الأمم يدخلون فى الاسلام حتى شمل الجميع دين سمح كريم ، دين الاسلام الحنيف . وظهرت حضارة الاسلام شاملة لكل نواحي الفكر والثقافة والعلوم والتطبيق .

ودارت الأيام .. وانهارت حضارة العرب الاسلامية أمام جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ وكان الفراغ الحضارى الموحش الذى أحدثه سقوط الدولة العربية مدعاة لاغراء كل القوى الممجية الأوروبية المتربصة بالعالم الاسلامى لنهب ثرواته الفكرية والعلمية والحضارية ونقلها إلى أوروبا ... وهكذا بينما قام حكم الدويلات فى الداخل^(١) ، أخذت (أوروبا) التى لم تنس ولن تنسى خروج هرقل من الشام ومصر - تعد جيوشها الصليبية لغزو بلاد المسلمين ، وبدأ الوطن العربى الجريح بقيادة زعماء المماليك فى مصر يدافع بأبنائه العرب فى مغيب الشمس عن حوزة الوطن والدين ، ونجح المقاتلون فى أن يلهمو قاداتهم الغرباء فضائل القتال ، وظهرت قيادة علماء

(١) أحمد موسى سالم - لماذا ظهر الإسلام فى جزيرة العرب - دار الجيل - بيروت - ص ١٣٧ : ١٣٨ .

حاجاتهم ، ومن هنا فهو يقدر (الوفرة) ، لكنه يفرض إلى جانبها حق التوازن ، ويقدر ثقافة رجل الاقتصاد من معين الاسلام يكون حكمه سديدا ، ورأيه صائبا^(١) ..

فاذا كان قانون العرض والطلب يعتبر في عالم الاقتصاد (الأوروى) اليوم قانونا اساسيا في الاقتصاد وفي الحياة العملية اليومية ، فقد أخذ به علماء المسلمين من مئات السنين ، وكانوا يرون ان سعر أية سلعة أو خدمة يتوقف على العلاقة بين العرض والطلب .. أما (الطلب) على السلعة (أو الخدمة) فيحكمه عدد الافراد الذين يرغبون فيها ، ومدى رغبتهم فيها ، وما لديهم من موارد لشرائها .. وأما (العرض) فتحكمه الكمية المتيسرة من السلعة في أية لحظة ، فضلا عن طول فترة انتاج المزيد من هذه السلعة والصعوبات اللازمة للانتاج تجاوبا مع الزيادة في الطلب عليها^(٢) .

اما قانون جريشام Gresham's Law فيدخل في مجال الاقتصاد الاسلامى لكن بشروط .. فاذا حدث في دولة ما أنه كان يجرى في التداول نوعان من النقود احدهما (جيد) والآخر (ردى) فان النوع الردى يميل إلى طرد النوع الجيد من التداول أو

(١) د. محمد الصادق عفيفى - المجتمع الإسلامى وفلسفته المالية والاقتصادية - مكتبة الخانجي - القاهرة - ص ٢٩ : ٣١ .

(٢) للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى : Keynes, J.M., 1936:

The General Theory of Employment, Interest, and Money New York, Harcourt, Brace and World, pp. 50-98.

- ويمكن الرجوع أيضاً إلى :

— Prybyla, Jan S. 1969: Comparative: Economic Systems, 3rd. ed. J.B. Lippincott Company New York, pp. 22-26.

- وأيضاً : للدكتور عيسى عبده - المرجع السابق - ص ١٢٣ : ١٣٢ .

لم يكد إيوان كسرى يتهدم ، وحدود قيصر تتراجع ، ويتحرر الوطن العربى كله وبقاع أخرى من أرض العالم القديم آسيا وأفريقية وأوروبا من الوثنية والاحداد ، ولم يكد أهل هذه الأمم يدخلون فى الاسلام حتى شمل الجميع دين سمح كريم ، دين الاسلام الحنيف . وظهرت حضارة الاسلام شاملة لكل نواحي الفكر والثقافة والعلوم والتطبيق .

ودارت الأيام .. وانهارت حضارة العرب الاسلامية أمام جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ وكان الفراغ الحضارى الموحش الذى أحدثه سقوط الدولة العربية مدعاة لاغراء كل القوى الممجية الأوروبية المتربصة بالعالم الاسلامى لنهب ثرواته الفكرية والعلمية والحضارية ونقلها إلى أوروبا ... وهكذا بينما قام حكم الدويلات فى الداخل^(١) ، أخذت (أوروبا) التى لم تنس ولن تنسى خروج هرقل من الشام ومصر - تعد جيوشها الصليبية لغزو بلاد المسلمين ، وبدأ الوطن العربى الجريح بقيادة زعماء المماليك فى مصر يدافع بأبنائه العرب فى مغيب الشمس عن حوزة الوطن والدين ، ونجح المقاتلون فى أن يلهمو قاداتهم الغرباء فضائل القتال ، وظهرت قيادة علماء

(١) أحمد موسى سالم - لماذا ظهر الإسلام فى جزيرة العرب - دار الجيل - بيروت - ص ١٣٧ : ١٣٨ .

عن تقرير القيم للأشياء والجهود بوحدات نقدية ثابتة أو متغيرة يتصرف بها كما يشاء ، وإنما عين الذهب والفضة واعتبرهما النقد الذى يعبر بهما المجتمع عن تقدير القيم للأشياء والجهود تعيينا ثابتا بوحدات نقدية معينة .. ودليل تعيين النقد بالذهب والفضة ، ان الله تعالى نهى عن كثر المال وقصد به الذهب والفضة ولم يذكر غيرها ، والمراد من النهى عن كثر (النقد) كونه اداة التبادل العامة ، فكان النهى منصبا على كثره ، اما غير النقد فلا يسمى جمعه وعدم انفاقه كثرًا ، وإنما يسمى احتكارا .. وقد حرم الاسلام كثر الذهب والفضة سواء كان مضروباً أو غير مضروب . وكذلك النقد النائب عن الذهب والفضة حرام ، لانه يمثل كمية منهما على شكل نقود أو سبائك مودعة فى مكان مخصص .

وقد ربط الاسلام الذهب والفضة باحكام ثابتة لا تتغير كما كانت الدينارين والدراهم فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام من الذهب والفضة معروفة (الوزن) معلومة المقدار ، وبها تتعلق الزكاة وغيرها من الحقوق ، والمقادير الشرعية ، وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام قد عين نصاب الزكاة من الذهب وهو : (عشرون ديناراً) وفيها (نصف دينار) وفى الفضة (مائتا درهم) وفيها (خمسـة دراهم) وجعل عليه الصلاة والسلام لهذا النقد من الذهب والفضة موازين معينة هى (الدينار ، الدرهم ، الاوقية ، الدانق ، القيراط ، المثقال) وكان الناس فى زمنه عليه الصلاة والسلام يتعاملون بها ، وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ الآتية من

تتألف عادة بخلط أنصبة مؤسسيها بحيث لا تتميز الأنصبة بعضها عن بعض وأقل عدد تنعقد به الشركة اثنان معينان ، وتنضوى الشركات تحت قسمين : -

(١) الشركات التعاقدية ، ومنها شركات المفاوضه ^(١) ، وشركات العنان ^(٢) ، وشركات الأبدان ^(٣) وشركات الوجوه ^(٤) وعادة ما تنشأ مثل تلك الشركات بناء على عقد بين المشتركين في تأسيسها بنظم المشاركة في رأس المال ، وفي الأرباح التي يشترط أن تكون على أساس نسب شائعة في الربح المتحقق كالنصف أو الربع .

(ب) شركات ملكية ، وهي الشركات التي يملكها الشركاء بالشراء أو الأثرث أو الوصية .

ولا يحظر في الاسلام قيام كل هذه الأنواع ، طالما إنها تقوم على أسس شرعية تراعى فيها حقوق كافة الأطراف وفقاً لما سبق ذكره ،

-
- (١) هي الشركات التي يشترك مؤسسوها ليكون بينهم ما يربحونه بأموالهم وأبدانهم وعليهم ما يفرمونه سواء خلطوا أموالهم أم لا ، وسواء عملوا عملاً واحداً أم لا .
 - (٢) هي اشترك المؤسسين في مال يخلطونه ويتجرون فيه على أن يكون الربح والخسارة على قدر حصة كل في رأس المال .
 - (٣) وتسمى أيضاً شركات الأعمال ، ويتفق مؤسسوها من أرباب المهن والحرف على القيام بالأعمال التي تعهد إليهم مقابل تقسيم ربحها على أساس نسبة شائعة ولا يشترط اتحاد مهنة المؤسسين ذاتاً .
 - (٤) ويطلق عليها أيضاً شركات الذمم . يؤسسها التجار الموثوق بهم بدون رأسمال لشراء السلع بالأجل ثم بيعها مع تحديد توزيع الربح بينهم .
- وهناك أيضاً الشركات القابضة وهي الشركات التي تملك الشركة منها شركة أخرى أو شركات متعددة - ملكية جزئية أو كاملة لأغراض فرض الرقابة عليها .
- أنظر : د . حسين عمر - المرجع السابق - ص ١٦٣ .
- وكذلك : د . عبدالمعزم غفر - المرجع السابق - ص ١١٧ .

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١﴾ وكيف نوافق على مبدأ الندرة النسبية والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٢) .

لقد التمس المفكرون الغربيون مفهوم الاقتصاد في الفكر الاسلامي اساسا لنظريات اقتصادية عالمية ، فنظرية الملكية الخاصة مقرونة بالحرية في الفكر الاسلامي هي نظرية جون لوك الذي يرى بان الانسان ولد في حالة طبيعية ومعه حقوق اساسية هي الحرية والحركة والملكية . كما ان ارتباط المبدأ الاخلاقي في مفهوم الفكر الاسلامي يحقق تنقية المعاملات من الوان الارهاق والظلم ، والتعفف عن الارهاق بالمكوس والضرائب وتخفيف نفقات الإدارة والضرائب وتخفيف نفقات الإدارة والرسوم والاعتدال في الجباية والصرف .

كما التمس المفكرون الغربيون كثيرا من المفاهيم الاقتصادية الاخرى من علماء المسلمين (١) ، ففي منتصف القرن التاسع عشر أى بعد ظهور الاسلام بأكثر من اثني عشر قرنا ، وبعد ابن خلدون بأكثر من اربعة قرون . ظهر في أوروبا اصحاب المذهب التاريخي الاقتصادي ، ومنهم (ولهم روشر) الذي وضع مؤلفه (محاضرات في اصول اقتصاد الدولة وفق الطريقة التاريخية) في سنة ١٨٤٣ وذكر فيه ان علم الاقتصاد يرتبط بالعلوم الاخرى التي تبحث ظواهر

(١) سورة طه ، الآية ١٣١ .

(٢) سورة ص ، الآية ٥٤ .

(٣) حمزة الجمعي الدعوى - المرجع السابق - ص ٢٠٧ .

- وكذلك : الدكتور بدوى عبد اللطيف - المرجع السابق - ٧٨ : ١٢٧ .

لم يكد إيوان كسرى يتهدم ، وحدود قيصر تتراجع ، ويتحرر الوطن العربي كله وبقاع أخرى من أرض العالم القديم آسيا وأفريقية وأوروبا من الوثنية والاحداد ، ولم يكد أهل هذه الأمم يدخلون في الاسلام حتى شمل الجميع دين سمح كريم ، دين الاسلام الحنيف . وظهرت حضارة الاسلام شاملة لكل نواحي الفكر والثقافة والعلوم والتطبيق .

ودارت الأيام .. وانهارت حضارة العرب الاسلامية أمام جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ وكان الفراغ الحضارى الموحش الذى أحدثه سقوط الدولة العربية مدعاة لاغراء كل القوى الممجية الأوروبية المتربصة بالعالم الاسلامى لنهب ثرواته الفكرية والعلمية والحضارية ونقلها إلى أوروبا ... وهكذا بينما قام حكم الدويلات فى الداخل^(١) ، أخذت (أوروبا) التى لم تنس ولن تنسى خروج هرقل من الشام ومصر - تعد جيوشها الصليبية لغزو بلاد المسلمين ، وبدأ الوطن العربى الجريح بقيادة زعماء المماليك فى مصر يدافع بأبنائه العرب فى مغيب الشمس عن حوزة الوطن والدين ، ونجح المقاتلون فى أن يلهمو قاداتهم الغرباء فضائل القتال ، وظهرت قيادة علماء

(١) أحمد موسى سالم - لماذا ظهر الإسلام فى جزيرة العرب - دار الجيل - بيروت - ص ١٣٧ : ١٣٨ .

أوروبا . ففي (لاهاي) عقد المؤتمر الدولي للقانون المقارن سنة ١٩٣٢ ، وأعلن الفقيه الفرنسي (لامبير) خلال المؤتمر تقديره للفقه الإسلامي ، وقرر المؤتمر اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام له صلاحية في التطبيق والتطور^(١) .

وجاء في كتاب (القيم الخالدة في الاسلام) للعالم الشهير (اميل درمنجم) « ان حضارة الاسلام تقوم على رسالة سماوية ، نظامها الاجتماعي يقوم على اسرة متماسكة » ونظامها الاقتصادي يعتبر المال وسيلة لا غاية ، ويحترم الملكية الفردية غير المستغلة » .

وجاء في كتاب (حضارة العرب) للدكتور (غوستاف لوبون) المؤرخ الفرنسي : « ان فلاسفة العرب والمسلمين هم اول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

والخلاصة ان علماء المسلمين في العصر الاسلامي ، قاموا بدورهم في بناء النهضة العلمية العالمية عامة والفكر الاقتصادي خاصة ، وقدموا لأوروبا زاد نهضتها وكانوا كمال قال (البنديت جواهر لال نهرو) في كتابه (لمحات من تاريخ العالم) : « كانوا بحق آباء العلم الحديث ، وان بغداد تفوقت على كل العواصم الأوروبية »^(٢) .

(١) أحمد علي الملا - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية - ص ١١٥ : ١١٧ .

(٢) يمكن الرجوع في ذلك إلى كتاب : دراسات في الحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي - ص ٦٥ : ٨٧ .

- وكذلك كتاب : تاريخ العلوم عند العرب للدكتور عمر فروج ص ١٣ : ٣٨ .

والاقتصادية^(١) ، وانعكس ذلك على تركيز الثروة والقوة الطبقات
التجار في أوروبا ، ونشأت تبعاً لذلك المدن التجارية .. وهكذا
دخلت المفاهيم الاقتصادية الإسلامية إلى أوروبا مع رزم الأقمعة من
موانئ العرب على البحر المتوسط .. وقبل انتقال الثقل التجارى من
سواحل المسلمين على البحر المتوسط الى اوروبا ، كانت تلك القارة
باسرها غارقة في الفقر لدرجة انه لم يكن عندها من المحصولات
الاهلية ، ولا المال ما يكفي للمبادلة مع بضائع المسلمين ، فكان
المخاطرون الاوائل من تجار ايطاليا يخطفون الاولاد من القرى
المجاورة ، ويدفعونهم اجرة لامتعتهم مع شحن اللحم الانساني^(٢) .

ولا يكون المرء مبالغاً إذا قال ان اول اجزاء أوروبا في التقدم من
طور الهمجية هو الذى كان تحت نفوذ الثقافة العربية مباشرة : اى
الداخل في الحدود الاسبانية والمشمتمل على (قطالونيا)
و (براونس) و (صقلية) .. ويمكن القول إنه من المحتمل جداً انه
لو لم يكن العرب لما ظهرت الحضارة الأوروبية الحديثة ابداً ، ولكنه
مؤكد حتماً انه لولا هم لما اتصفت أوروبا بتلك الصفة التى مكنتها من
التفوق على جميع الادوار السابقة من الارتقاء .

وبينما كانت الطبقات الحاكمة في أوروبا - سواء كانت قسيسين
أو أمراء - تنظر إلى التجارة وما يتعلق بالاعمال الاقتصادية نظرة

ABAIC Translation with Annotations, 13y El-Syd Abu-El-Nasr Ahmad (١)
El-Hussini. pp. 160-165.

(٢) روبرت بريغالت - تكوين الإنسانية - ترجمة السيد أبو النصر أحمد الحسيني - دار
الكتب الحديثة - ص ١٦٤ .

الفصل السابع
مقومات النشاط الاقتصادي
في التراث الإسلامي

والاقتصادية^(١) ، وانعكس ذلك على تركيز الثروة والقوة الطبقات
التجار في أوروبا ، ونشأت تبعاً لذلك المدن التجارية .. وهكذا
دخلت المفاهيم الاقتصادية الإسلامية إلى أوروبا مع رزم الأقمعة من
موانئ العرب على البحر المتوسط .. وقبل انتقال الثقل التجارى من
سواحل المسلمين على البحر المتوسط الى اوروبا ، كانت تلك القارة
باسرها غارقة في الفقر لدرجة انه لم يكن عندها من المحصولات
الاهلية ، ولا المال ما يكفي للمبادلة مع بضائع المسلمين ، فكان
المخاطرون الاوائل من تجار ايطاليا يخطفون الاولاد من القرى
المجاورة ، ويدفعونهم اجرة لامتعتهم مع شحن اللحم الانساني^(٢) .

ولا يكون المرء مبالغاً إذا قال ان اول اجزاء أوروبا في التقدم من
طور الهمجية هو الذى كان تحت نفوذ الثقافة العربية مباشرة : اى
الداخل في الحدود الاسبانية والمشمتمل على (قطالونيا)
و (براونس) و (صقلية) .. ويمكن القول إنه من المحتمل جداً انه
لو لم يكن العرب لما ظهرت الحضارة الأوروبية الحديثة ابداً ، ولكنه
مؤكد حتماً انه لولاهم لما اتصفت أوروبا بتلك الصفة التى مكنتها من
التفوق على جميع الادوار السابقة من الارتقاء .

وبينما كانت الطبقات الحاكمة في أوروبا - سواء كانت قسيسين
أو أمراء - تنظر إلى التجارة وما يتعلق بالاعمال الاقتصادية نظرة

ABAIC Translation with Annotations, 13y El-Syd Abu-El-Nasr Ahmad (١)
El-Hussini. pp. 160-165.

(٢) روبرت بريغالت - تكوين الإنسانية - ترجمة السيد أبو النصر أحمد الحسيني - دار
الكتب الحديثة - ص ١٦٤ .

بالماء القليل كالسمسم والبرطمان^(١) .

ومن دراساتنا لكتب التراث الاسلامى التى اهتمت بأوجه النشاط الاقتصادى فى العالم الاسلامى فى عصر الازدهار يمكن تلخيصه فى مقومات ثلاث : الزراعة والرعى ، الصناعة ، التجارة .

أولاً : الزراعة والرعى فى كتب التراث الاسلامى :

ذكرت كتب التراث الاسلامى مثل (الاسلام والحضارة العربية) للاستاذ محمد كردى على^(٢) ، و (الادارة الاسلامية فى عز العرب) له ايضا و (الحضارة العربية) للاستاذ ي . ي . هل^(٣) . و (معجم البلدان لياقوت)^(٤) ، و (حضارة العرب) للدكتور جوستاف لويون^(٥) ، و (مختصر تاريخ العرب واتمدن الاسلامى) للسيد امير على^(٦) ، و (فتح البلدان) للبلادرى^(٧) وغيرها . إن الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة كانت مزدهرة ازدهارا عظيما فى الدولة الاسلامية ، وان هذه الدولة الاسلامية كانت مترامية الاطراف وتضم كثيرا من الاقاليم التى تعد

(١) د . محمد شامة - الاسلام فى الفكر الأوربى - مكتبة وهبة - ص ١٢٩ ، ١٣٠

(٢) تم طبع الكتاب الأول سنة ١٩٣٤م بمطبعة دار الكتب المصرية .

(٣) طبع هذا الكتاب بعد ترجمته بمعرفة مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٣٧٥هـ .

(٤) توفى ياقوت الحموى سنة ٦٢٦هـ . وقد تم طبع الكتاب فى مطبعة السعادة سنة

١٣٢٣هـ .

(٥) طبع هذا الكتاب بعد أن ترجم إلى العربية بمطبعة الحلبي ، سنة ١٣٦٤هـ .

(٦) تم طبع هذا الكتاب بمعرفة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٧) توفى سنة ٢٧٩هـ - وقد تم طبع هذا الكتاب فى مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩هـ .

على أموال الكافرين والمحاربين قهرا إذا لم يكن عهد . وكذلك الأخذ عن طريق استحقاق حقوق حددتها الشارع ، وكذلك ما يملك بواسطة المعاوضة بالتراضي إذا روعى فيه ما شرط الشارع في العوضين والعاقدين واللفظين ويدخل في ذلك (المعاوضة) عن طريق البيوع الصحيحة والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض أو المضاربة والشركة والمساقاة أو المزارعة أو الشفقة ، والصلح والخلع والصدقات إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه من طرق المعاوضات المشروعة ^(١) . كما أباح الاسلام حرية التملك فيما يؤخذ عن رضا من غير عوض (إذا) روعى فيه ما يلزم كالهبات والوصايا والصدقات ، وما يؤخذ عن طريق الإرث بحق وهو (حلال) بعد قضاء الديون وإخراج الحقوق والوصايا المشروعة .

ولكن الاسلام لم يترك حرية الملكية فيما سبق ذكره ، بلا قيود ، وإنما وضع قيودا تحدد (حرية) الانسان في تصرفه في ملكه المشروع ، فقد حرم الاسلام على (المالك) اتلاف ما يملك ، وفرض عليه بيع ما يضطر إليه الناس ، وحرم التبذير والاسراف ، وأجاز (الحجر) على المالك إذا تصرف بهما ، وقيد تصرف الانسان بملكه بما لا يضر الآخرين اذ الحديث كما سبق أن ذكرنا (لا ضرر ولا ضرار) ^(٢) .

وقرر الاسلام أنه إذا تعلق حق العامه ومصلحتهم بملك إنسان سقطت حرته في التصرف بهذا الشيء ، ولكن لا يسقط حقه

(١) سعيد حوى - الإسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه ، وقال النووي حديث حسن .

حتى ان عمرو بن العاص استخدم حوالى ١٠,٠٠٠ عامل فى اصلاح طرق الرى فى مصر صيفا وشتاء ، حتى يمكن القول ان مصر من صنع الفلاحين المصريين ، فقد شهد وادى النيل العمل الدؤوب الذى يقوم به الفلاحون من بناء وصيانة منظومة لاساليب رى الاراضى الشاسعة ، ولا شك ان ذلك كان يستدعى مجموعة من التزامات جماعية ، وانظمة دقيقة جدا وتعبئة للأيدي العاملة بصورة مستديمة ، وتحفظ اوراق بردى ادروديتو "Aphrodito" بوثائق هامة تؤكد ذلك ^(١) .

وقد زاد اهتمام العباسيين بذلك ، فى صدر دولتهم جددوا حفر القنوات القديمة ، واستحدثوا قنوات جديدة ، وخصوصا فى العراق حتى اصبح ما بين النهرين دجلة والفرات أشبه بشبكة من القنوات والانهار ، واطلقوا عليها اسم (النواظم) لانها نظمت توزيع المياه .. وكانت العراق بلادا اكثر ما يزرع فيها الحنطة ، وكان ارتفاع اسعار القمح يذكر دائما دليلا من دلائل غلاء المعيشة . وكان الارز يأتى فى المرتبة بعد السفير ، وقد استلفت ذلك نظر الصينيين ، فيحدثنا الرحالة (لنج - دى - تى - تا) -Ling-wai- "tai-ta" عن (بغداد) قائلا إنَّ الناس جميعا فيها يأكلون الخبز

(١) أنظر فى ذلك : دكتور جوستاف لوبون - حضارة العرب - مطبعة الحلبي سنة ١٣٦٤ ص ٢٨ ، ص ٤٧ .
وكذلك : المقدسى - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - ص ٤٣ ، ص ٤٨ .
وكذلك : ابن حوقل - المسالك والممالك - ص ٥٠ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ من طبعة لندن سنة ١٨٧٢ م .
وكذلك : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح (اليقونى) - ص ٢١٨ - من الطبعة الأوربية .

منخفض الفيوم بمصر ومنخفض الغور (على ضفاف البحر الميت وادى نهر الاردن) ، وجنوب المغرب وخاصة في المناطق المروية كاقليم السوس الاقصى وفي مناطق واسعة من اقليم خوزستان ، ومازندران حيث كان خبز الارز الطعام الرئيسى لاصل البلاد حينذاك ، كما جاءت زراعته في سهل الوادى الكبير وغوطان اقليم بلنسية بالاندلس (١) .

وعرفت المناطق الرملية باقاليم العالم الاسلامى فيما بين القرنين الثالث والثامن الهجريين زراعة البطيخ ، ويذكر المؤرخون انه كان اكثر ما يباع من الفاكهة في الاسواق ، وان شمالى فارس اشتهرت به (٢) ، وانه قد بلغ من جودته وصحته انه كان يقدر ويحمل الى العراق ، وكان بطيخ (مرو) يرسل الى الخلفاء ببغداد طازجا فكان يحمل الى المامون أولا ثم الى الواثق في اوعية من الرصاص مبطنة بالثلج فتباع الواحدة منها بثمن يبلغ بضع مئات من الدراهم في بغداد عاصمة الدولة الاسلامية آنذاك . وقد اضاف القرن الثالث الهجرى الى الفواكه التى كانت موجودة في بلاد المسلمين فاكهتين : وهما الاترج والتاريخ ، وكلاهما كان يقدم الى الناس في الاحتفال بختان المعتز بن المتوكل حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى وذلك الى جانب ما عر من الفواكه الغالية . وقد نوه حاكى هذا الخبر في القرن الرابع بأن هاتين الفاكهتين كانتا قليلتين

(١) موريس لومبارد - الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامى - ترجمة د. عبد الرحمن حميدة - دار الفكر - ص ٢١٤ .

(٢) د. على عبد الرسول - المرجع السابق - ص ٢٩٦ .

كانت اكثر ما يزرع في العراق .. وكان له المقام الاول آنذاك بين الفواكه وكان كثير الاصناف والانواع . وفي ذلك يقول ابن الفقيه : « ولو ان رجلا خرج من بيته مسافرا في عنقوان شببته وحداثة سنه ، واستقرى البلدان صقعا فصقععا يتبع الكروم مصرا فقصرا ، حتى يهرم ، وصغيرا حتى لتعرف لتعرف اجناسه ، واحاطة العلم بانواعه ، بل اقلها واحدا من الاقاليم وناحية من اقطار الارض ، لا عوزه وغلبه ، وعزه وبهره » إذا كانت كثرة فنونه ، واختلاف انواعه لا تدرك » (١) .

كما كانت الحنطة تزرع في كافة البلاد التي يكون الماء فيها موفورا ، ولذلك كانت زراعته تجود في كثير من اقاليم الاسلام مثل مصر ، العراق ، خوزستان ، وكانت الذرة تزرع في مصر (الصعيد) وجنوب الجزيرة وبلاد النوبة وكرمان ، وكانت الذرة في الاصل من اهم حبوب افريقيا السوداء ثم انتقلت شمالا نحو النوبة وصعيد مصر والواحات الليبية وبرقة ، ومنطقة التل الجزائرية . اما الارز فكان غلة آسيوية الاصل وانتقل من الهند الى منطقة ما بين النهرين حيث كان معروفا قبل الميلاد .. وهو يزرع حيث يكثر الماء ، ولذلك جاءت زراعته في العراق ، وفيه انتشر في كل بقاع المسلمين الملائمة لزراعته ، وخصوصا في الواحات المصرية ، وفي

(١) ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني) - (في حوالى آخر القرن الثالث الهجرى) . يمكن الرجوع الى ذلك إلى :

— Beazley, Dawn of Modern Geography, vol. I. (1897) pp. 139-154.

— Wright, Geographical Lore of the time of the Crusades, New York, 1925, pp. 108-12.

المسلمين آنذاك حتى انه كان يباع في بعض السنين ما مقداره (وقر)
الجمال بدرهمين^(١) ..

وزرع المسلمون في ايران (فارس) قصب السكر ، وصنعوا
منه السكر ، ثم انتقل منها إلى مصر . وسواحل الشام حيث نقله
الاوربيون اثناء الحملات الصليبية . كما كان يزرع في كابل ،
وصور ، وخوزستان والاندلس . ومما يذكره الجغرافيون المسلمون
أن زراعة قصب السكر بعد ان وفدت إلى مصر في اواخر القرن
الثامن ، اهتم القائلون على البلاد آنذاك بزراعته في اخصب البقاع
المصرية ، وتبوءت مصر المركز الاول في حوض البحر الابيض
المتوسط في انتاج وتصدير السكر ، ولكنها كانت تستهلك بالفعل
كميات كبيرة منه ، وذلك في البلاط الفاطمي ، حيث كانت
الاشجار - في الاعياد - تزدان بتماثيل صغيرة من السكر مما يشهد
على تقدم كبير في تصنيعه ، ويقول ناصر خسرو (حوالى عام ٤٤٠ هـ .
١٠٤٨) : « وتنتج مصر عسلا كثيرا وسكرا »^(٢) .

وفي مصر - حسبما يذكر (ناصر خسرو) - كانت اشجار
(الزيتون) تزرع بوفرة في نواحي الاسكندرية ، وان كان
القلقشندي قد ذكر ان الزيتون كان قليلا بمصر ، ولم يكن يستخرج
منه الزيت ، وانما كان يؤكل مملحا^(٣) .

(١) يرجع في ذلك إلى : المقدسي - المرجع السابق - ص ٢٣٠ . « وفي وادي دراعة
كان التمر رخيصا جداً حتى بيع في بعض السنين الجيدة حمل الجمل بنصف

دينار » (٢) : رحلة ناصر خسرو - ص ٧٦ من النص الفارسي .

(٢) يرجع ذلك إلى Wirstenfeld, S. 34 ترجمة صبح الأعشى - ج ٣ - ٣١٢ .

فى ذلك الوقت ^(١) . وذكرهما ابن المعتز فى شعره ^(٢) وفى ذلك يقول المسعودى : « وكذلك شجر التاريخ والاترج المدور جُلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة ، فزرع بعان . ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامى وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر ، وما كان يعهد ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والترية والماء وخاصة البلد » ^(٣) .

وكانت التمور تحتل مكانة سامية فى قائمة اهتمام الزراع المسلمين والمستهلكين لها بكميات كبيرة ، وكانت العراق وكرمان وشمال افريقية من اكبر مراكز انتاج التمر فى بلدان العالم الاسلامى ^(٤) ، ويذكر الجغرافيون المسلمون ان التمر العراقى اجود انواع التمور التى كانت تزرع فى بلدان العالم الاسلامى وان شجرة النخيل تعتبر شجرة العراق الادنى المطل على الخليج العربى ، وانه هو موطنها واقليمها المفضل ، وقد سبق للنخيل ان وصل الى جنوبى بلاد الشام قبل الفتح الاسلامى ، وكذلك بلغ مصر ، وشمال افريقية وبخاصة مدينة سجلماسة فى جنوبى مراكش ، والاندلس ، وقد ذكر الجغرافيون المسلمون انواعا كثيرة منه .. وقالوا انه كان من الوفرة ببلدان

(١) الشابشتى كتاب الديارات - ١ ، ب - ص ٦٥ .

(٢) ديوان ابن المعتز - ج ٢ - ص ١٠٦ : ١١٩ .

(٣) المسعودى - مروج الذهب - ج ٢ - ص ٤٣٨ : ٤٣٩ ، وكذلك الخطط للمقرئى - ج ١ - ص ٢٨ .

(٤) ابن حوقل - المسالك والممالك - ص ١٤٩ . وكذلك المقدسى - احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم - ص ١٤٣ : ١٤٤ .

منخفض الفيوم بمصر ومنخفض الغور (على ضفاف البحر الميت
ووادى نهر الاردن) ، وجنوب المغرب وخاصة فى المناطق المروية
كاقليم السوس الاقصى وفى مناطق واسعة من اقليم خوزستان ،
ومازندران حيث كان خبز الارز الطعام الرئيسى لاصل البلاد
حينذاك ، كما جاءت زراعته فى سهل الوادى الكبير وغوطان اقليم
بلنسية بالاندلس (١) .

وعرفت المناطق الرملية باقاليم العالم الاسلامى فيما بين القرنين
الثالث والثامن الهجريين زراعة البطيخ ، ويذكر المؤرخون انه كان
اكثر ما يباع من الفاكهة فى الاسواق ، وان شمالى فارس اشتهرت
به (٢) ، وانه قد بلغ من جودته وصحته انه كان يقدر ويحمل الى
العراق ، وكان بطيخ (مرو) يرسل الى الخلفاء ببغداد طازجا فكان
يحمل الى المامون أولا ثم الى الواثق فى اوعية من الرصاص مبطنة
بالتلج فتباع الواحدة منها بثمن يبلغ بضع مئات من الدراهم فى
بغداد عاصمة الدولة الاسلامية آنذاك . وقد اضاف القرن الثالث
الهجرى الى الفواكه التى كانت موجودة فى بلاد المسلمين
فاكهتين : وهما الاترج والتاريخ ، وكلاهما كان يقدم الى الناس فى
الاحتفال بختان المعتز بن المتوكل حوالى منتصف القرن الثالث
الهجرى وذلك الى جانب ما عر من الفواكه الغالية . وقد نوه
حاكى هذا الخبر فى القرن الرابع بأن هاتين الفاكهتين كانتا قليلتين

(١) موريس لومبارد - الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامى - ترجمة د. عبد الرحمن
حميدة - دار الفكر - ص ٢١٤ .

(٢) د. على عبد الرسول - المرجع السابق - ص ٢٩٦ .

كما يذكر المؤرخون ان الشام واقليم شمال افريقية كانت اهم مناطق زراعة اشجار الزيتون حيث كان العالم آنذاك يعتمد تماما على هذه البلدان . وكان احسن الزيت يأتي من الشام ، حيث كانت مدينة نابلس متخصصة في زراعة وعصر الزيتون . وكان الزيت يعبأ في آنية عملاقة بمدينة حلب ، كما كانت روما تعتمد اعتمادا كبيرا على تونس في امدادها بالزيت وكان بمدينة سفاقس في القرن الرابع من الزيت الكثير ومن الزيتون ما ليس بغيرها ، ولا تزال اشجار الزيتون في تونس تلقى من العناية في الوقت الحاضر ما لا تلقاه في اى بلد من بلدان البحر الابيض المتوسط ^(١) .

وقد عرفت ديار المسلمين زراعة القطن .. بعد ان ورد اليها من الهند ليزرع في منطقة بلاد ما بين النهرين ابتداء من القرن السابع الميلادى ، واحتل مزارع كبيرة في العصر الاسلامى في منطقة نهر (الخابور) وخاصة في اقليم (حران) بين انحاء الفرات والدجلة .. وقد ورد اول ذكر لزراعة القطن في اقليم التركستان في القرن السادس والسابع الميلادى ، وقد وصلت زراعة القطن (Algodon) (بالاسبانية) في منطقة البحر المتوسط الى الشام اولا ابتداء من عقفة الفرات حتى ضواحي حلب ، وهى منطقة تعتبر امتدادا طبيعيا لمزارع اقليم نهر الخابور ، ثم وصل القطن من

(١) يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ (سورة النور - الآية ٣٥) عن شجرة الزيتون أن منبتها الشام ، وأن أجود الزيتون زيتون الشام . وقى ذلك يمكن الرجوع إلى آدم ميتز - المرجع السابق ص ١٣٠ .
- يمكن الرجوع كذلك إلى المقدسى - المرجع السابق - ص ١٧٤ . واين حوقل - المرجع السابق ص ٤٧ .

على أموال الكافرين والمحاربين قهرا إذا لم يكن عهد . وكذلك الأخذ عن طريق استحقاق حقوق حددتها الشارع ، وكذلك ما يملك بواسطة المعاوضة بالتراضي إذا روعى فيه ما شرط الشارع في العوضين والعاقدين واللفظين ويدخل في ذلك (المعاوضة) عن طريق البيوع الصحيحة والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض أو المضاربة والشركة والمساقاة أو المزارعة أو الشفقة ، والصلح والخلع والصدقات إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه من طرق المعاوضات المشروعة ^(١) . كما أباح الاسلام حرية التملك فيما يؤخذ عن رضا من غير عوض (إذا) روعى فيه ما يلزم كالهبات والوصايا والصدقات ، وما يؤخذ عن طريق الإرث بحق وهو (حلال) بعد قضاء الديون وإخراج الحقوق والوصايا المشروعة .

ولكن الاسلام لم يترك حرية الملكية فيما سبق ذكره ، بلا قيود ، وإنما وضع قيودا تحدد (حرية) الانسان في تصرفه في ملكه المشروع ، فقد حرم الاسلام على (المالك) اتلاف ما يملك ، وفرض عليه بيع ما يضطر إليه الناس ، وحرّم التبذير والاسراف ، وأجاز (الحجر) على المالك إذا تصرف بهما ، وقيد تصرف الانسان بملكه بما لا يضر الآخرين اذ الحديث كما سبق أن ذكرنا (لا ضرر ولا ضرار) ^(٢) .

وقرر الاسلام أنه إذا تعلق حق العامه ومصلحتهم بملك إنسان سقطت حرته في التصرف بهذا الشيء ، ولكن لا يسقط حقه

(١) سعيد حوى - الإسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه ، وقال النووي حديث حسن .

تلك البقاع . وقد نقلت اسراب الجاموس في عهد بني امية من السند الى بطائح العراق ، ويذكر المؤرخون ان الحكومة وضعت اربعة آلاف من الجاموس على حدود الشام من الشمال لان الناس شكوا من كثرة هجوم السباع عليهم وكان الجاموس يعتبر اكبر عدو للأسود^(١) .

على ان المسعودي يحدثنا في اوائل القرن الرابع الهجري ان طريقة الجاموس في انطاكية هي طريقة اهل الهند . ثم ان عرب الشام نقلوا هذا الحيوان الذي يحب المستنقعات الى ايطاليا والاندلس .

ويرتبط التوسع في تربية الماشية بالعالم الاسلامي في القرن الرابع الهجري بملاءمة المناخ الرطب لذلك واكتساء الارض بغطاء نباتي متوسط الكثافة ، رغم وجود محاذير عديدة لتربية الماشية على العموم منها القضاء على المروعات وعلى الغابات وخصوصا ما كان منها بواسطة الرعاة أنفسهم ، إذ كانوا يحرقونها للحصول على مراعي جديدة^(٢) .

ولذلك نجد انتشار رعي الابقار في السهول المحيطة في المغرب

(١) انظر De Goeje Memoires... 22F - المرجع السابق - ص ١٨١ ص ١٨٢ .. «وفي حوادث عام ٢٧٠هـ - ٨٨٣م . ذكروا أن أحمد بن طولون صاحب مصر والشام أكثر من لبن جاموس قدم له «فأصابته تخمة . ومات» (تاريخ أبي الفداء/ ج ٢ - ص ٢٦٠) . وكذلك كان من الأشياء التي احصاها المقدسي بفلسطين لبن الجاموس .»

(٢) المقدسي - المرجع السابق - ص ١١٣ : ص ١١٧ .. ومما يحكيه ابن خرداذبة في (المسالك والممالك) - ص ١٥ أن الحجاج منع من ذبح البقر لتكثر الحرارة والزراعة .

المسلمين آنذاك حتى انه كان يباع في بعض السنين ما مقداره (وقر)
الجمال بدرهمين^(١) ..

وزرع المسلمون في ايران (فارس) قصب السكر ، وصنعوا
منه السكر ، ثم انتقل منها إلى مصر . وسواحل الشام حيث نقله
الاوربيون اثناء الحملات الصليبية . كما كان يزرع في كابل ،
وصور ، وخوزستان والاندلس . ومما يذكره الجغرافيون المسلمون
أن زراعة قصب السكر بعد ان وفدت إلى مصر في اواخر القرن
الثامن ، اهتم القائلون على البلاد آنذاك بزراعته في اخصب البقاع
المصرية ، وتبوءت مصر المركز الاول في حوض البحر الابيض
المتوسط في انتاج وتصدير السكر ، ولكنها كانت تستهلك بالفعل
كميات كبيرة منه ، وذلك في البلاط الفاطمي ، حيث كانت
الاشجار - في الاعياد - تزدان بتماثيل صغيرة من السكر مما يشهد
على تقدم كبير في تصنيعه ، ويقول ناصر خسرو (حوالى عام ٤٤٠ هـ .
١٠٤٨) : « وتنتج مصر عسلا كثيرا وسكرا »^(٢) .

وفي مصر - حسبما يذكر (ناصر خسرو) - كانت اشجار
(الزيتون) تزرع بوفرة في نواحي الاسكندرية ، وان كان
القلقشندي قد ذكر ان الزيتون كان قليلا بمصر ، ولم يكن يستخرج
منه الزيت ، وانما كان يؤكل مملحا^(٣) .

(١) يرجع في ذلك إلى : المقدسي - المرجع السابق - ص ٢٣٠ . « وفي وادي دراعة
كان التمر رخيصا جداً حتى بيع في بعض السنين الجيدة حمل الجمال بنصف

دينار » (٢) : رحلة ناصر خسرو - ص ٧٦ من النص الفارسي .

(٢) يرجع ذلك إلى Wirstenfeld, S. 34 ترجمة صبح الأعشى - ج ٣ - ٣١٢ .

(مرينو) نسبة الى قبائل بنى مرين في المغرب العربي^(١) .
وبطبيعة الحال حينما نذكر حرفة الرعي كنمط اقتصادي تقليدي
عند المسلمين فاننا لا ننسى ابدا مكانة (الابل) في هذا المضمار ..
واذا نسينا اشياء فاننا لا ننسى ان نعرف ان مراعي (نجد) المرتفعة
كانت الموطن الاصلى لتربية الجمال .. ويكفي أنَّ نذكر هنا ان
المستشرقين يسمون نجد : (ام الابل) .. ويقصدون بذلك انها
مهد الجمال الوحيد السنام . ويدل علماء اللغة في معاجمهم عن
الجمال على مقدار مبالغة العرب وشدة مهارتهم في الاستفادة من
اصغرة غريزة أو حركة لهذا الحيوان ، ويعتبرون الجمال موضوعا تمت
عليه دقة العقل العربي نموا كبيرا^(٢) .

وفما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين كانت المناطق الرئيسية
لتربية الابل في العالم الاسلامي هي : شبه جزيرة العرب وخاصة
بلاد نجد وعمان وحضرموت والحجاز . ثم اسيا الوسطى ، ويران ،
والعراق ، ثم اثيوبيا ، وبلاد النوبة ، وواحات الصحراء الكبرى
الغربية . وبعدها انتشرت تلك الدائرة لتشمل بلاد الشام واسيا
الصغرى ، وسهوب شمالى القفقاس في جنوى روسيا ، وبلاد
الاندلس ، والسودان الغربى والصحراء المغربية والساقية الحمراء ،
ووادى الذهب . واشتهرت (بلخ) بالجمال ذات السنامين ، وهى
المسماة بالجمال (البخت) ، وهى افضل من كل ما عداها . وهنا
يجب علينا ان نميز بين تربية الماشية المستقرة من اجل الحاجات

(١) موريس لومبارد - المرجع السابق - ص ٢٢٠ : ٢٢١ .

(٢) آدم ميتز - المرجع السابق - ص ٣٤٦ : ٣٤٧ .

منخفض الفيوم بمصر ومنخفض الغور (على ضفاف البحر الميت
ووادى نهر الاردن) ، وجنوب المغرب وخاصة فى المناطق المروية
كاقليم السوس الاقصى وفى مناطق واسعة من اقليم خوزستان ،
ومازندران حيث كان خبز الارز الطعام الرئيسى لاصل البلاد
حينذاك ، كما جاءت زراعته فى سهل الوادى الكبير وغوطان اقليم
بلنسية بالاندلس (١) .

وعرفت المناطق الرملية باقاليم العالم الاسلامى فيما بين القرنين
الثالث والثامن الهجريين زراعة البطيخ ، ويذكر المؤرخون انه كان
اكثر ما يباع من الفاكهة فى الاسواق ، وان شمالى فارس اشتهرت
به (٢) ، وانه قد بلغ من جودته وصحته انه كان يقدر ويحمل الى
العراق ، وكان بطيخ (مرو) يرسل الى الخلفاء ببغداد طازجا فكان
يحمل الى المامون أولا ثم الى الواثق فى اوعية من الرصاص مبطنة
بالثلج فتباع الواحدة منها بثمن يبلغ بضع مئات من الدراهم فى
بغداد عاصمة الدولة الاسلامية آنذاك . وقد اضاف القرن الثالث
الهجرى الى الفواكه التى كانت موجودة فى بلاد المسلمين
فاكهتين : وهما الاترج والتاريخ ، وكلاهما كان يقدم الى الناس فى
الاحتفال بختان المعتز بن المتوكل حوالى منتصف القرن الثالث
الهجرى وذلك الى جانب ما عر من الفواكه الغالية . وقد نوه
حاكى هذا الخبر فى القرن الرابع بأن هاتين الفاكهتين كانتا قليلتين

(١) موريس لومبارد - الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامى - ترجمة د. عبد الرحمن
حميدة - دار الفكر - ص ٢١٤ .

(٢) د. على عبد الرسول - المرجع السابق - ص ٢٩٦ .

في دمشق^(١) ، وقد نشطت عمليات استخراج الحديد من رسوبات سطحية متفاوتة في تأكسها ، ولكنها كانت سهلة الاستغلال ، وقد وضع جغرافيو المسلمين خريطة توزيعية (للكامن) الحديد في لبنان وافريقيا الشمالية والاندلس خصوصا في قسطنطينية الحديد التي تقع الى الغرب من (قرطبة) على حافة سلسلة سروات (مورينا) كما كان العالم الاسلامي يستورد خامات الحديد من بعض مناطق أوروبا^(٢) ، وكذلك من الهند حيث اشتهر الفولاذ الهندي باسم (الهندواني) أو الهندي ، ومنه كلمة (آلند) (Alinde) الاسبانية «وهي تعني مرآة من فولاذ مصقول»^(٣)

وتحدث (اخوان الصفا) عن مقومات النشاط الاقتصادي في المجال الصناعي عند المسلمين ، وقالوا عن هذه المقومات انها : الصانع - المادة الخام (الهيول) المكان الزمان - الحركة - الاداة - الآلة^(٤) ..

ولم تكن مجالات التعدين قاصرة على استخراج الحديد وتصنيعه عند المسلمين . وانما تعدى ذلك الى النحاس والقصدير حيث كان

(١) ابن سيده - (٤٥٨هـ - ١٠٦٦م) - هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي - كتاب الخفص - الجزء الأول - طبعة بولاق سنة ١٣٢١هـ ص ٢٦ .

(٢) موريس لومبارد المرجع السابق - ص ٢٣٠ : ص ٢٣٢ .

(٣) د . أبوزيد شلبي - تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي - مكتبة وهبة ص ٣٠٤ .

وكذلك : د . علي عبد الرسول - المبادئ الاقتصادية في الاسلام - المرجع السابق - ص ٢٩٨ .

(٤) اخوان الصفا وخلان الوفا - سائل اخوان الصفا - دار صادر بيروت ص ٢٧٨ : ص ٢٩٢ .

خصوصاً في (صقلية) وبلاد ما وراء النهر ^(١) .

ويذكر (الإدريسي) ان الزئبق كان اكبر واعظم المعادن وفرة في الدولة الاسلامية الغربية (الاندلس) ، وكانت تكويناته تتركز في صخور قريبة من (قرطبة) ويقول : « وبشمال قرطبة الحصن الذي به معدن الزئبق ، ومنه يتجهز الزئبق والزنجفر الى جميع اقطار الارض » ^(٢) . ويذكر (الثعالبي) في (لطائف المعارف) ان الفيرزوج الازرق ، كان يستخرج من (نيسابور) وفي سنة ١٨٢١م زار (فريزر) التل الذي يقع على مسافة ستين كيلو مترا الى الشمال الغربي من هذه المدينة ، وكان السكان المسلمون يستعملون الفؤوس في استخراجها من الحفر ، ويستطيع المرء ان يلاحظ ان العمل في هذا المجال كان واسع النطاق في الزمن الماضي ^(٣) . وعلى ذلك يمكن القول ان النشاط الاقتصادي عند المسلمين في مجال الثروة المعدنية لم يكن يقل عن دوره في المجال الزراعي والثروة الحيوانية ، وقد لمسنا ان كتب التراث قد سثلت ذلك وابرزته .

ثالثاً : النشاط التجاري :

كان للعرب قبل الاسلام معرفة جيدة بالتجارة وممارسة رائعة

(١) يقول « ناصر خسرو » (ص ٥ من النص الفارسي) ، ان بقمة جبل « دماوند » يخرج منها التوشادر والكبريت ، ويصعد على الجبل رجال يحملون جلود البقر ، فيملأونها بالتوشادر ، ثم يدحرجونها من قمة الجبل .

(٢) الإدريسي - زهرة المشتاق في اختراق الآفاق - طبعة دوزي - ص ٤ .

(٣) آدم ميتز - المرجع السابق - ص ٣٢٦ . نقلاً عن :

لفنونها . ودراية عظيمة بدروبها ومسالكها . وكان للتجارة عند العرب منزلة مرموقة . وحينما جاء الاسلام واتسعت الفتوحات ، وارتقت الزراعة والصناعة . نشطت التجارة . واتسعت حتى اصبح للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلاد العالم ، وامتدت تجارة المسلمين الى الشرق حتى وصلت الى الفلبين والصين ، والى الغرب حتى وصلت الى بلاد الفرنجة والى الجنوب حتى وصلت الى نيجيريا ، والحبشة وسواحل افريقية ، والى الشمال حتى وصلت الى بلاد الروس التي ظلت الى ما بعد الحروب الصليبية ، هي الطريق بين شمال أوروبا والشرق .

وقد كان تجار المسلمين يستعملون في مخاطباتهم المتعلقة بالشؤون التجارية العبارة التالية : « جعل الله تجارتكم وتجارة المسلمين راحة » (١) .

وكانت تجارة المسلمين في القرن الرابع الهجري مظهرا من مظاهر ابهة الاسلام . واحتلت المكان الاول بين الانشطة الاقتصادية الاخرى . ومن ثم كانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد ، واخذت تجارة المسلمين المكان الاول في التجارة العالمية . وكانت الاسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الاسعار للعالم في ذلك العصر في كثير من السلع (٢) .

وسرعان ما اصبح كثير من المدن الاسلامية مراكز حافلة بمظاهر

(١)

(1) Cf. J. David — Weill, 1931: "Papyrus arabes" Bulletin de l'Institut français d'Archeologie orientale du Caire, XXX, pp. 33-34.

(٢) ابن الفقيه — المرجع السابق — ص ٢٧٠ .

في شرق النيل بمصر بين (عذاب) (واسوان) (١) ، حيث كانت تكويناته ترقد في (العلاق) على مسيرة خمسة عشرة مرحلة من (اسوان) ، كما كانت الفضة متوفرة في السودان ، ويروى ان اكبر معدن للفضة كان في الشرق بمدينة (بنجهير) حيث كان العمال يتبعون عروقا يجدونها تدلهم على الجوهر ، وكان جبل المدينة وسوقها كالغربال من كثرة الحفر (٢) ..

وعرف المسلمون استخراج (البورق) من بحيرة (وان) بشمال فارس ، وكان يحمل من بحيرة (ارمية) الى العراق والشام ومصر ، وكان (الشب) اهم ما يستخرج حول بحيرة (شاد) بالسودان ، وقال (ياقوت الحموي) في معجمه ان جبال الفضة المحيطة بمدينة (بنجهير) بنواحي بلخ كانت وراء انتعاش النشاط التعدين بالاقليم .

وكان الملح يستخرج من مناجم الصحراء — كما يذكر ابن حوقل — بكليات وفيرة لدرجة ان آلاف الجمال والجمالين كانوا يشتغلون باستخراجه ، كما كان الملح الذي يستخلص من المحيط الاطلسي يحمل الى اعماق السودان ، ويذكر ايضا ان ملح (النوشادار) ، وهو من اهم الاملاح الكيماوية في ذلك الحين ، كان يوجد في نقطتين متقابلتين على اطراف الدولة الاسلامية ،

(١) د. أبو زيد شلي — المرجع السابق — ص ٣٠٤ .. (القبر) بالكسر : الذهب والفضة أو قناتها قبل أن يصاغاً ... نقلاً عن القاموس المحيط .

(٢) آدم ميتز — المرجع السابق — ص ٣١٦ .

المسلمين آنذاك حتى انه كان يباع في بعض السنين ما مقداره (وقر)
الجمال بدرهمين^(١) ..

وزرع المسلمون في ايران (فارس) قصب السكر ، وصنعوا
منه السكر ، ثم انتقل منها إلى مصر . وسواحل الشام حيث نقله
الاوربيون اثناء الحملات الصليبية . كما كان يزرع في كابل ،
وصور ، وخوزستان والاندلس . ومما يذكره الجغرافيون المسلمون
أن زراعة قصب السكر بعد ان وفدت إلى مصر في اواخر القرن
الثامن ، اهتم القائلون على البلاد آنذاك بزراعته في اخصب البقاع
المصرية ، وتبوءت مصر المركز الاول في حوض البحر الابيض
المتوسط في انتاج وتصدير السكر ، ولكنها كانت تستهلك بالفعل
كميات كبيرة منه ، وذلك في البلاط الفاطمي ، حيث كانت
الاشجار - في الاعياد - تزدان بتماثيل صغيرة من السكر مما يشهد
على تقدم كبير في تصنيعه ، ويقول ناصر خسرو (حوالى عام ٤٤٠ هـ .
١٠٤٨) : « وتنتج مصر عسلا كثيرا وسكرا »^(٢) .

وفي مصر - حسبما يذكر (ناصر خسرو) - كانت اشجار
(الزيتون) تزرع بوفرة في نواحي الاسكندرية ، وان كان
القلقشندي قد ذكر ان الزيتون كان قليلا بمصر ، ولم يكن يستخرج
منه الزيت ، وانما كان يؤكل مملحا^(٣) .

(١) يرجع في ذلك إلى : المقدسي - المرجع السابق - ص ٢٣٠ . « وفي وادي دراعة
كان التمر رخيصا جداً حتى بيع في بعض السنين الجيدة حمل الجمل بنصف

دينار » (٢) : رحلة ناصر خسرو - ص ٧٦ من النص الفارسي .

(٢) يرجع ذلك إلى Wirstenfeld, S. 34 ترجمة صبح الأعشى - ج ٣ - ٣١٢ .

فتمكنوا « من ارتياد البحار في جرأة ومهارة فائقة حتى ملكوا في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب » (١) .

وقد ظهرت آثار الانتعاش التجاري عند المسلمين في ابتكار احسن النظم المالية والتجارية في ظل شريعة الله . وعندهم نقل الاوربيون الكثير من هذه النظم وقد اثبت العلماء والمستشرقون ومنهم (جرسهوب) أن اول من عرف نظام الحوالات المالية هم العرب . وعندهم اخذتها اوربا في القرن العاشر عن طريق اسبانيا وايطاليا (٢) وقال المستر (كراندال) : « وفي التجارة كان الاسلام رائد العالم الحديث في انشاء الاتحادات التجارية . واستعمال الشيكات » وخطابات الاعتماد . والايصالات ووثائق الشحن » (٣) .

وخلاصة القول أنَّ المسلمين استفادوا من تجارتهم - علاوة على الغنى والثروة المالية - خبرة بشئون الحياة . ومعرفة بأخلاق الناس ، واصبحت التجارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى في مكان الصدارة بين التجارة العالمية . مما انعش حياة الجاليات الاسلامية في كثير من اقاليم الارض المعمورة آنذاك . ومن هذه الجاليات ما كان في بلاد الخزر ، والسرير ، واللان ، وغانه . وكوغة . والهند . والصين . وكوريا . ومناطق اخرى من اصقاع العالم القديم .

(١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور - المجتمع العربي (نصيب العرب في تقديم العلم والحضارة) - ٤٧٤ .

(٢) المرجع نفسه - ص ٤٧٥ .

(٣) انظر نشرة اصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية - أثر الاسلام في المسيحية - نيويورك

المسلمين آنذاك حتى انه كان يباع في بعض السنين ما مقداره (وقر)
الجمال بدرهمين^(١) ..

وزرع المسلمون في ايران (فارس) قصب السكر ، وصنعوا
منه السكر ، ثم انتقل منها إلى مصر . وسواحل الشام حيث نقله
الاوربيون اثناء الحملات الصليبية . كما كان يزرع في كابل ،
وصور ، وخوزستان والاندلس . ومما يذكره الجغرافيون المسلمون
أن زراعة قصب السكر بعد ان وفدت إلى مصر في اواخر القرن
الثامن ، اهتم القائلون على البلاد آنذاك بزراعته في اخصب البقاع
المصرية ، وتبوءت مصر المركز الاول في حوض البحر الابيض
المتوسط في انتاج وتصدير السكر ، ولكنها كانت تستهلك بالفعل
كميات كبيرة منه ، وذلك في البلاط الفاطمي ، حيث كانت
الاشجار - في الاعياد - تزدان بتماثيل صغيرة من السكر مما يشهد
على تقدم كبير في تصنيعه ، ويقول ناصر خسرو (حوالى عام ٤٤٠ هـ .
١٠٤٨) : « وتنتج مصر عسلا كثيرا وسكرا »^(٢) .

وفي مصر - حسبما يذكر (ناصر خسرو) - كانت اشجار
(الزيتون) تزرع بوفرة في نواحي الاسكندرية ، وان كان
القلقشندي قد ذكر ان الزيتون كان قليلا بمصر ، ولم يكن يستخرج
منه الزيت ، وانما كان يؤكل مملحا^(٣) .

(١) يرجع في ذلك إلى : المقدسي - المرجع السابق - ص ٢٣٠ . « وفي وادي دراعة
كان التمر رخيصا جداً حتى بيع في بعض السنين الجيدة حمل الجمال بنصف

دينار » (٢) : رحلة ناصر خسرو - ص ٧٦ من النص الفارسي .

(٢) يرجع ذلك إلى Wirstenfeld, S. 34 ترجمة صبح الأعشى - ج ٣ - ٣١٢ .

الفصل الثامن
بعض ملامح التكامل الاقتصادي
في المفهوم الإسلامي

خصوصاً في (صقلية) وبلاد ما وراء النهر ^(١) .

ويذكر (الإدريسي) ان الزئبق كان اكبر واعظم المعادن وفرة في الدولة الاسلامية الغربية (الاندلس) ، وكانت تكويناته تتركز في صخور قريبة من (قرطبة) ويقول : « وبشمال قرطبة الحصن الذي به معدن الزئبق ، ومنه يتجهز الزئبق والزنجفر الى جميع اقطار الارض » ^(٢) . ويذكر (الثعالبي) في (لطائف المعارف) ان الفيرزوج الازرق ، كان يستخرج من (نيسابور) وفي سنة ١٨٢١م زار (فريزر) التل الذي يقع على مسافة ستين كيلو مترا الى الشمال الغربي من هذه المدينة ، وكان السكان المسلمون يستعملون الفؤوس في استخراجها من الحفر ، ويستطيع المرء ان يلاحظ ان العمل في هذا المجال كان واسع النطاق في الزمن الماضي ^(٣) . وعلى ذلك يمكن القول ان النشاط الاقتصادي عند المسلمين في مجال الثروة المعدنية لم يكن يقل عن دوره في المجال الزراعي والثروة الحيوانية ، وقد لمسنا ان كتب التراث قد سثلت ذلك وابرزته .

ثالثاً : النشاط التجاري :

كان للعرب قبل الاسلام معرفة جيدة بالتجارة وممارسة رائعة

(١) يقول « ناصر خسرو » (ص ٥ من النص الفارسي) ، ان بقمة جبل « دماوند » يخرج منها التوشادر والكبريت ، ويصعد على الجبل رجال يحملون جلود البقر ، فيملأونها بالتوشادر ، ثم يدحرجونها من قمة الجبل .

(٢) الإدريسي - زهرة المشتاق في اختراق الآفاق - طبعة دوزي - ص ٤ .

(٣) آدم ميتز - المرجع السابق - ص ٣٢٦ . نقلاً عن :

وهدفها البعيد وكان الاطار الواسع الذى يلف العالم الاسلامى ويجعل منه كتلة واحدة على حالة لا يتأثر بالتقلبات الداخلية إلا قليلا^(١).

لقد كان حكم العقيدة الاسلامية وراء بقاء الشعور بالاخوة الاسلامية حيا نابضا فى نفوس الملايين من المسلمين حتى يومنا هذا بالرغم من الجهود التى بذلتها دول الاستعمار المختلفة لتزيف الرابطة الاسلامية تارة باثارة الغضب المذهبي والتطرف القومى تارة اخرى ، وبالرغم من الجهود التى بذلتها وتبذلها الشيوعية الدولية لمسخ روح الاخوة الاسلامية ، وتشويه مقاصدها واختلاق تفسيرات ومبررات ليست من طبيعتها فى شئ .. نقول بالرغم من كل ذلك بقيت الجبهة الغالبة فى العالمين العربى والاسلامى تنظر للاخوة الاسلامية كحقيقة واقعة لا سبيل الى نقضها^(٢).

لكن عالم اليوم أصبح يعيش فى ظل بوادر ومؤشرات لاختلال الموازين الاقتصادية الامر الذى غدا يهدد مفهوم الاخوة الاسلامية وكيف لا وقد اضطربت عجلة الانتاج بسبب انتشار الفقر والجهل والمرض الذى خلفه الاستعمار فى ربوع العالم الاسلامى .

واذا كان اخواننا المسلمون فى كل مكان يجاهدون من اجل تحررهم الاقتصادى ، تماما كما يجاهدون فى سبيل دينهم وتخليص

(١) كامل الشريف - آراء وأفكار فى التضامن الإسلامى - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ص ١٣ : ١٥ .

(٢) د. محمد عبد المنعم عفر - المرجع السابق - ص ١٢٤ .

خصوصاً في (صقلية) وبلاد ما وراء النهر ^(١) .

ويذكر (الإدريسي) ان الزئبق كان اكبر واعظم المعادن وفرة في الدولة الاسلامية الغربية (الاندلس) ، وكانت تكويناته تتركز في صخور قريبة من (قرطبة) ويقول : « وبشمال قرطبة الحصن الذي به معدن الزئبق ، ومنه يتجهز الزئبق والزنجفر الى جميع اقطار الارض » ^(٢) . ويذكر (الثعالبي) في (لطائف المعارف) ان الفيرزوج الازرق ، كان يستخرج من (نيسابور) وفي سنة ١٨٢١م زار (فريزر) التل الذي يقع على مسافة ستين كيلو مترا الى الشمال الغربي من هذه المدينة ، وكان السكان المسلمون يستعملون الفؤوس في استخراجها من الحفر ، ويستطيع المرء ان يلاحظ ان العمل في هذا المجال كان واسع النطاق في الزمن الماضي ^(٣) . وعلى ذلك يمكن القول ان النشاط الاقتصادي عند المسلمين في مجال الثروة المعدنية لم يكن يقل عن دوره في المجال الزراعي والثروة الحيوانية ، وقد لمسنا ان كتب التراث قد سثلت ذلك وابرزته .

ثالثاً : النشاط التجاري :

كان للعرب قبل الاسلام معرفة جيدة بالتجارة وممارسة رائعة

(١) يقول « ناصر خسرو » (ص ٥ من النص الفارسي) ، ان بقمة جبل « دماوند » يخرج منها التوشادر والكبريت ، ويصعد على الجبل رجال يحملون جلود البقر ، فيملأونها بالتوشادر ، ثم يدحرجونها من قمة الجبل .

(٢) الإدريسي - زهرة المشتاق في اختراق الآفاق - طبعة دوزي - ص ٤ .

(٣) آدم ميتز - المرجع السابق - ص ٣٢٦ . نقلاً عن :

ولا شك ايضا ان التكامل الاقتصادى حتما سيؤدى الى تحقيق عدة مزايا للدول الاسلامية المتكاملة .. فهو وسيلة لتحقيق المنافع الاقتصادية التى تحصل عليها كل دولة اسلامية ومن خلاله يمكن التخصص فى الانتاج تبعا للميزة النسبية وما يترتب على ذلك من زيادة كل من الانتاج والتبادل التجارى بين هذه الدول ، والافادة من وفورات النطاق الواسع فى الانتاج . وتغيير معدلات التبادل الدولى لصالح دول المجموعة ، وزيادة المنافسة وما تؤدى اليه من زيادة الكفاءة الاقتصادية ورفع مستوى الانتاج وتسريع عملية النمو الاقتصادى^(١) .

وهذا بالفعل هو ما يهدف الاسلام الى تحقيقه ، ليزيد الروابط بين المسلمين . قال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (رواه البخارى) وقال ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ » (رواه البخارى) .

ومفهوم التكامل الاقتصادى فى الاسلام - والحالة هذه - انما ينحصر فى التماسح والتعاون والاتحاد فى كافة امور المسلمين من اقتصاد واجتماع وسياسة لان بلاد الاسلام ووطن لكل مسلم . كما ان التكامل الاقتصادى فى الاسلام معناه حرية التنقل لعناصر الانتاج من عمل ورأس مال من جهة وللبيع بكل انواعها المباحة بين مختلف البلدان الاسلامية من جهة اخرى دون قيود أو رسوم .. ومفهوم

(١) د. رفعت المحجوب - المرجع السابق - ص ٩٣ : ٩٥ .

خصوصاً في (صقلية) وبلاد ما وراء النهر ^(١) .

ويذكر (الإدريسي) ان الزئبق كان اكبر واعظم المعادن وفرة في الدولة الاسلامية الغربية (الاندلس) ، وكانت تكويناته تتركز في صخور قريبة من (قرطبة) ويقول : « وبشمال قرطبة الحصن الذي به معدن الزئبق ، ومنه يتجهز الزئبق والزنجفر الى جميع اقطار الارض » ^(٢) . ويذكر (الثعالبي) في (لطائف المعارف) ان الفيززوج الازرق ، كان يستخرج من (نيسابور) وفي سنة ١٨٢١م زار (فريزر) التل الذي يقع على مسافة ستين كيلو مترا الى الشمال الغربي من هذه المدينة ، وكان السكان المسلمون يستعملون الفؤوس في استخراجها من الحفر ، ويستطيع المرء ان يلاحظ ان العمل في هذا المجال كان واسع النطاق في الزمن الماضي ^(٣) . وعلى ذلك يمكن القول ان النشاط الاقتصادي عند المسلمين في مجال الثروة المعدنية لم يكن يقل عن دوره في المجال الزراعي والثروة الحيوانية ، وقد لمسنا ان كتب التراث قد سثلت ذلك وابرزته .

ثالثاً : النشاط التجاري :

كان للعرب قبل الاسلام معرفة جيدة بالتجارة وممارسة رائعة

(١) يقول « ناصر خسرو » (ص ٥ من النص الفارسي) ، ان بقمة جبل « دماوند » يخرج منها التوشادر والكبريت ، ويصعد على الجبل رجال يحملون جلود البقر ، فيملأونها بالتوشادر ، ثم يدحرجونها من قمة الجبل .

(٢) الإدريسي - زهرة المشتاق في اختراق الآفاق - طبعة دوزي - ص ٤ .

(٣) آدم ميتز - المرجع السابق - ص ٣٢٦ . نقلاً عن :

يكون ملموسا في يوم وليلة .. لماذا ؟ لانه على سبيل المثال - إذا اخذنا التجارة كعنصر من عناصر التكامل الاقتصادى بين بلدان العالم الاسلامى فانتا نجد ان مكاسب الدول الاسلامية من التكامل فى المدى القصير - وفى ظل حرية السوق - تكون محدودة إذا كان التكامل فى اول الامر قاصرا على تحرير التبادل التجارى بين الدول المتكاملة ^(١) . وخصوصا إذا كان ذلك كله فى ظل عدم التكافؤ بين ازدياد نسبة التجارة ومعدل الانتاج الداخلى لهذه الدول من جهة . وضآلة حصة الدول المطلوب تكاملها فى التجارة الخارجية ككل من جهة اخرى .

فتى يمكن تحقيق مكاسب التكامل إذن ؟

لا شك أن ذلك يعتمد على حدوث تغيير فى أنماط الانتاج والتجارة بين بلدان العالم الاسلامى على اساس (المزايا النسبية والانتاج الكبير) .. وهذا بالطبع ما لا يحدث فى المدى القصير وانما تظهر ثماره على المدى الطويل .. وحينئذ فقط يمكننا القول ان التكامل قد ادى دوره فى زيادة معدلات النمو الاقتصادى فى بلدان العالم الاسلامى كما يمكن أن نقول إنَّ التكامل قد اكسب الهياكل الاقتصادية الداخلية لبلدان المسلمين قوة وصلابة .

ومن ثمَّ يمكن القول ان بلدان العالم الاسلامى قد استفادت فى

(١) محمد مبارك مجير - السياسات المالية والنقدية لخطط التنمية الاقتصادية - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ص ١١١ : ١٢٣ .
- وكذلك : بدوى عبد اللطيف عوض - النظام المالى المقارن فى الإسلام - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ص ٩٨ : ١١٥ .

قطاعي التجارة والانتاج . من ذلك كله .. يمكن أن نقول أيضاً إنَّ التكامل الاقتصادي يمتاز بتوفر كافة المقومات البشرية والطبيعية لتشييد صرح اقتصادي متين يجمع بلاد المسلمين في إطار واحد ويحقق لها كافة المزايا التي تترتب على قيام التكامل الاقتصادي والتي يمكن إنجازها في الآتي :

- تطبيق شريعة الله في أحداث التقارب بين الشعوب الإسلامية عند قيام الأنشطة الاقتصادية المشتركة وما ينجم عن ذلك من توحيد كلمة المسلمين بما يحقق اعلاء كلمة الله ودينه الخفيف .
- الجمع بين إلغاء الحواجز الجمركية بين حدود الدول الإسلامية والسماح بانسياب عناصر الانتاج عبرها الى شتى بلاد الاسلام من السنغال في غرب افريقيا على المحيط الاطلسي الى اندونيسيا في جنوب شرق آسيا على المحيط الهادي^(١) .
- ضمان حرية الحركة لجميع العمال المسلمين من وإلى أى بلد يضمه التجمع الاسلامي العريض .
- اعطاء الاستثمار الاسلامي المناخ الطيب الملائم لتنمية موارد المسلمين في مشروعات تحقق حدا ادنى من الاكتفاء الذاتي للعالم الاسلامي ككل^(٢) .

(١) د . محمد عبد المنعم عفر - المرجع السابق - ص ٣٠٩ .
 (٢) الاكتفاء الذاتي Self-sufficiency, Autarky يقصد به السياسات الاقتصادية التي بمقتضاها تحاول أية دولة أن تستغنى - كلما وسعها الجهد - عن الواردات من الدول الأخرى ، وذلك باعتمادها على منتجاتها المحلية ، بدلاً من المنتجات الأجنبية ، في أشباع احتياجاتها الاستهلاكية إلى مختلف السلع والخدمات . وتبدو أهمية هذه السياسة في أوقات الحروب ، حيث يتعذر استيراد السلع =

- زيادة كفاءة استخدام عناصر الانتاج (المال ، الانسان ، الموارد الطبيعية) في جميع بلاد المسلمين .
- اقامة بنىان اقتصادى متين لبلدان العالم الاسلامى يضمن زيادة الدخول الحقيقية للمسلمين ، ويحقق العدل في توزيعها كى يشعر أى مسلم في أى مكان من العالم الاسلامى بالرفاهية .

= من الخارج ، للصعوبات والمخاطر التى تكتنف عمليات الشحن عبر البحار وفي حالة وجود طاقات معطلة يمكن الافادة منها باستخدامها في انتاج السلع المماثلة للسلع المستوردة : حتى ولو كانت أسعارها المحلية في مبدأ الأمر أكثر ارتفاعاً من أسعار نظائرها من السلع المستوردة ، أو في حالة الدول النامية مثل بلدان العالم الاسلامى التى تسعى للتصنيع بغية الافادة من فائض السكان في القطاع الزراعى (مثل مصر - اندونيسيا - باكستان - تركيا - بنجلاديش) وهو الفائض الذى يتعطل مقنعاً **Disguised Unemployment** والذي يمكن سحبه من ميدان الزراعة إلى الصناعة دون أن يهبط الناتج الزراعى الكلى .

قطاعي التجارة والانتاج . من ذلك كله .. يمكن أن نقول أيضاً إنَّ التكامل الاقتصادي يمتاز بتوفر كافة المقومات البشرية والطبيعية لتشييد صرح اقتصادي متين يجمع بلاد المسلمين في إطار واحد ويحقق لها كافة المزايا التي تترتب على قيام التكامل الاقتصادي والتي يمكن إنجازها في الآتي :

- تطبيق شريعة الله في أحداث التقارب بين الشعوب الإسلامية عند قيام الأنشطة الاقتصادية المشتركة وما ينجم عن ذلك من توحيد كلمة المسلمين بما يحقق اعلاء كلمة الله ودينه الخفيف .
- الجمع بين إلغاء الحواجز الجمركية بين حدود الدول الإسلامية والسماح بانسياب عناصر الانتاج عبرها الى شتى بلاد الاسلام من السنغال في غرب افريقيا على المحيط الاطلسي الى اندونيسيا في جنوب شرق آسيا على المحيط الهادي^(١) .
- ضمان حرية الحركة لجميع العمال المسلمين من وإلى أى بلد يضمه التجمع الاسلامي العريض .
- اعطاء الاستثمار الاسلامي المناخ الطيب الملائم لتنمية موارد المسلمين في مشروعات تحقق حداً أدنى من الاكتفاء الذاتي للعالم الاسلامي ككل^(٢) .

(١) د . محمد عبد المنعم عفر - المرجع السابق - ص ٣٠٩ .
 (٢) الاكتفاء الذاتي Self-sufficiency, Autarky يقصد به السياسات الاقتصادية التي بمقتضاها تحاول أية دولة أن تستغنى - كلما وسعها الجهد - عن الواردات من الدول الأخرى ، وذلك باعتمادها على منتجاتها المحلية ، بدلاً من المنتجات الأجنبية ، في أشباع احتياجاتها الاستهلاكية إلى مختلف السلع والخدمات . وتبدو أهمية هذه السياسة في أوقات الحروب ، حيث يتعذر استيراد السلع =

- التجارية بالقاهرة - ١٩٥٥ م).
- (١٤) ابن قيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) - زاد المعاد في هدى خير العباد (ط - المصرية - ١٣٧٩ هـ).
- (١٥) ابن قيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) - الطرق الحكيمة (ط المؤسسة العربية - بمصر سنة ١٩٦١ م).
- (١٦) أحمد على الملا - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية - دار الفكر.
- (١٧) أحمد شلبي (دكتور) - دراسات في الحضارة الإسلامية - القاهرة.
- (١٨) آدم متر - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبدالحادي أبوريقة - المجلد الثاني - مكتبة الحانجي.
- (١٩) القاضي أبو يوسف - كتاب الخراج - ت ١٨٢ هـ - ط . الأميرة . سنة ١٣٠٢ هـ.
- (٢٠) القدسي - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ط . الأميرة .
- (٢١) ابن حوقل - المسالك والممالك - ط . ليدن - سنة ١٨٧٢ م.
- (٢٢) الشاشتي - كتاب الديارات - أ - ب - (ط . الأميرة).
- (٢٣) ابن المعتز - ديوان ابن المعتز - ط . القاهرة.
- (٢٤) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - ط . الأميرة . الجزء الثاني .
- (٢٥) أبو الفداء - تاريخ أئى الفداء - جزء ٢ - ط . الأميرة .
- (٢٦) ابن رسته - الاعلاق النفسية - ط . الأميرة .
- (٢٧) الرازى - طب الفقراء - مخطوط بميونخ رقم (٧ + ٨) .
- (٢٨) ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل الأندلسي) - كتاب الخفض ج ١ - ط . بولاق سنة ١٣٢١ هـ.
- (٢٩) اخوان الصفا وخلان الوفا - مسائل اخوان الصفا - دار صادر - بيروت .

قطاعي التجارة والانتاج . من ذلك كله .. يمكن أن نقول أيضاً إنَّ التكامل الاقتصادي يمتاز بتوفر كافة المقومات البشرية والطبيعية لتشييد صرح اقتصادي متين يجمع بلاد المسلمين في إطار واحد ويحقق لها كافة المزايا التي تترتب على قيام التكامل الاقتصادي والتي يمكن إنجازها في الآتي :

- تطبيق شريعة الله في أحداث التقارب بين الشعوب الإسلامية عند قيام الأنشطة الاقتصادية المشتركة وما ينجم عن ذلك من توحيد كلمة المسلمين بما يحقق اعلاء كلمة الله ودينه الخنيف .
- الجمع بين إلغاء الحواجز الجمركية بين حدود الدول الإسلامية والسماح بانسياب عناصر الانتاج عبرها الى شتى بلاد الاسلام من السنغال في غرب افريقيا على المحيط الاطلسي الى اندونيسيا في جنوب شرق آسيا على المحيط الهادي^(١) .
- ضمان حرية الحركة لجميع العمال المسلمين من وإلى أى بلد يضمه التجمع الاسلامي العريض .
- اعطاء الاستثمار الاسلامي المناخ الطيب الملائم لتنمية موارد المسلمين في مشروعات تحقق حدا ادنى من الاكتفاء الذاتي للعالم الاسلامي ككل^(٢) .

(١) د . محمد عبد المنعم عفر - المرجع السابق - ص ٣٠٩ .
 (٢) الاكتفاء الذاتي Self-sufficiency, Autarky يقصد به السياسات الاقتصادية التي بمقتضاها تحاول أية دولة أن تستغنى - كلما وسعها الجهد - عن الواردات من الدول الأخرى ، وذلك باعتمادها على منتجاتها المحلية ، بدلاً من المنتجات الأجنبية ، في أشباع احتياجاتها الاستهلاكية إلى مختلف السلع والخدمات . وتبدو أهمية هذه السياسة في أوقات الحروب ، حيث يتعذر استيراد السلع =

- (٤٥) عبدالحمن عيسى - المعاملات الحديثة وأحكامها - القاهرة .
- (٤٦) علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكسانى - بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جزء ٦ .
- (٤٧) على محمد جريشة (دكتور) - المشروعات الإسلامية العليا - القاهرة .
- (٤٨) عباس محمود العقاد - الإسلام دعوة عالمية - المكتبة العصرية - بيروت .
- (٤٩) عيسى عبده (دكتور) - الاقتصاد الإسلامى مدخل ومنهاج - دار الاعتصام - ١٩٧٤ م .
- (٥٠) عمر فروج - تاريخ العلوم عند العرب - القاهرة .
- (٥١) غريب الجمال (دكتور) - النشاط الاقتصادى فى ضوء الشريعة الإسلامية - دار الشروق .
- (٥٢) كامل الشريف - آراء وأفكار فى التضامن الإسلامى الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة .
- (٥٣) م . أ . مناق - الاقتصاد الإسلامى بين النظرية والتطبيق - ترجمة : منصور التركي - المكتب المصرى الحديث .
54. Ballassa, B., 1961: The theory of economic Integration, Hoom wood R. Irvin.
55. Beazley, 1897: Dawn of Modern Geography, Vol. I.
56. C.F. J. David — Weile, 1931: Papyrus arabes "Bull. de L'institut francais d'Arch eologic orientale du Caire, XXX.
57. Fraser, 1852: Journey into khorasam, London.
58. Krause, L.B. 1964: The Common market. Progress and controvers, 3rd, printice-Hali, Inc. Englellood. Cleffe.
59. Keynes, J.M?, 1936: The Fgeneral Theory of employment, Inters, and Money, New York,
60. Prybyla, Jan S. 1969: Comp arative Economic systems, 3rd. ed. J.B. New York.
61. Wright., 1925: Geographical lore of the time of the Crusades, New York.
- (٦٢) وثيقة انشاء البنك الإسلامى للتنمية - ١٣٩٣ هـ - جدة .
- (٦٣) وثيقة نظام الشركات بالملكة العربية السعودية - قرار مجلس الوزراء رقم ٨٥/٣/١٧/١٨٥ الصادر عليها بالمرسوم الملكى الكريم رقم ٦/٢٢ تاريخ ١٣٨٥/٣/٢٢ هـ .
- (٦٤) يوسف حامد العالم - النظام السياسى والاقتصادى فى الإسلام - القاهرة .
- (٦٥) يحيى بن آدم - كتاب الخراج - ط . الأميرية - القاهرة .

قطاعى التجارة والانتاج . من ذلك كله .. يمكن أن نقول أيضاً إنَّ التكامل الاقتصادى يمتاز بتوفر كافة المقومات البشرية والطبيعية لتشييد صرح اقتصادى متين يجمع بلاد المسلمين فى إطار واحد ويحقق لها كافة المزايا التى تترتب على قيام التكامل الاقتصادى والتى يمكن إنجازها فى الآتى :

- تطبيق شريعة الله فى احداث التقارب بين الشعوب الاسلامية عند قيام الانشطة الاقتصادية المشتركة وما ينجم عن ذلك من توحيد كلمة المسلمين بما يحقق اعلاء كلمة الله ودينه الحنيف .
- الجمع بين الغاء الحواجز الجمركية بين حدود الدول الاسلامية والسماح بانسياب عناصر الانتاج عبرها الى شتى بلاد الاسلام من السنغال فى غرب افريقيا على المحيط الاطلسى الى اندونيسيا فى جنوب شرق آسيا على المحيط الهادى^(١) .
- ضمان حرية الحركة لجميع العمال المسلمين من وإلى أى بلد يضمه التجمع الاسلامى العريض .
- اعطاء الاستثمار الاسلامى المناخ الطيب الملائم لتنمية موارد المسلمين فى مشروعات تحقق حداً أدنى من الاكتفاء الذاتى للعالم الاسلامى ككل^(٢) .

(١) د . محمد عبد المنعم عفر - المرجع السابق - ص ٣٠٩ .
 (٢) الاكتفاء الذاتى Self-sufficiency, Autarky يقصد به السياسات الاقتصادية التى بمقتضاها تحاول أية دولة أن تستغنى - كلما وسعها الجهد - عن الواردات من الدول الأخرى ، وذلك باعتمادها على منتجاتها المحلية ، بدلاً من المنتجات الأجنبية ، فى أشباع احتياجاتها الاستهلاكية إلى مختلف السلع والخدمات . وتبدو أهمية هذه السياسة فى أوقات الحروب ، حيث يتعذر استيراد السلع =

صفحة

- تجنيد كافة الموارد المتاحة للمجتمع والافادة	
٧٨ منها في تحقيق أهداف جميع المسلمين...	
- الجمع في اسلوب التخطيط الاقتصادى بين	
٨٠ التخطيط بالاقتناع والتخطيط والتوجيه...	
المفاهيم الاسلامية وأثرها في التطبيق الاقتصادى	الفصل السادس :
٨٧ يبلدان العالم الأوربى	
مقومات النشاط الاقتصادى فى التراث	الفصل السابع :
١٠٩ الاسلامى	
١١١ أولاً : الزراعة والرى فى كتب التراث الاسلامى	
١٢٤ ثانياً : الصناعة والتعدين	
١٢٨ ثالثاً : النشاط التجارى	
بعض ملامح التكامل الاقتصادى فى المفهوم	الفصل الثامن :
١٣٣ الاسلامى	

صدر من هذه السلسلة

المؤلف	الكتاب
[الدكتور حسن باجودة]	١ - تأملات في سورة الفاتحة
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه
[الأستاذ نذير حمدان]	٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين
[الدكتور حسين مؤنس]	٤ - الإسلام الفاتح
[الدكتور حسان محمد حسان]	٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري
[الدكتور عبد الصبور مرزوق]	٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم
[الدكتور علي محمد جريشة]	٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية
[الدكتور أحمد السيد دراج]	٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية
[الأستاذ عبد الله بوقفس]	٩ - النوعية الشاملة في الحج
[الدكتور عباس حسن محمد]	١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره
[د. عبد الحميد محمد الهاشمي]	١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم
[الأستاذ محمد طاهر حكيم]	١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل
[الأستاذ حسين أحمد حسون]	١٣ - مولود على الفطرة
[الأستاذ علي محمد مختار]	١٤ - دور المسجد في الإسلام
[الدكتور محمد سالم محسن]	١٥ - تاريخ القرآن الكريم
[الأستاذ محمد محمود فرغلي]	١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام
[الدكتور محمد الصادق عفيفي]	١٧ - حقوق المرأة في الإسلام
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]
[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]	١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها
[الدكتور عبد الستار السعيد]	٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية

الكتاب

المؤلف

- | | |
|---|--|
| ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها | [الدكتور علي محمد العماري] |
| ٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم | [الدكتور أبو اليزيد العجمي] |
| ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا | [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر] |
| ٢٤ - الامتشراف والمشتشرقون وجهة نظر | [الدكتور عدنان محمد وزان] |
| ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة | [معالي عبد الحميد حموده] |
| ٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام | [الدكتور محمد محمود عمارة] |
| ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي | [الدكتور محمد شوقي الفنجرى] |
| ٢٨ - وحى الله | [الدكتور حسن ضياء الدين عتر] |
| ٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته في القرآن | [حسن أحمد عبد الرحمن عابدين] |
| ٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية | [الأستاذ محمد عمر القصار] |
| ٣١ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] | [الأستاذ أحمد محمد جمال] |
| ٣٢ - الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج | [الدكتور السيد رزق الطويل] |
| ٣٣ - الاعلام في المجتمع الإسلامي | [الأستاذ حامد عبد الواحد] |
| ٣٤ - الالتزام الدينى منهج وسط | [عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني] |
| ٣٥ - التربية النفسية في المنهج الإسلامى | [الدكتور حسن الشرقاوى] |
| ٣٦ - الإسلام والعلاقات الدولية | [الدكتور محمد الصادق عفيفى] |
| ٣٧ - العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية | [اللواء الركن محمد جبال الدين محفوظ] |
| ٣٨ - معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها | [الدكتور محمود محمد بابلى] |
| ٣٩ - النهج الحديث في مختصر علوم الحديث | [الدكتور على محمد نصر] |
| ٤٠ - من التراث الاقتصادى للمسلمين | [الدكتور محمد رفعت العوضى] |

صدر من هذه السلسلة

المؤلف	الكتاب
[الدكتور حسن باجودة]	١ - تأملات في سورة الفاتحة
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه
[الأستاذ نذير حمدان]	٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين
[الدكتور حسين مؤنس]	٤ - الإسلام الفاتح
[الدكتور حسان محمد حسان]	٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري
[الدكتور عبد الصبور مرزوق]	٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم
[الدكتور علي محمد جريشة]	٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية
[الدكتور أحمد السيد دراج]	٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية
[الأستاذ عبد الله بوقفس]	٩ - النوعية الشاملة في الحج
[الدكتور عباس حسن محمد]	١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره
[د. عبد الحميد محمد الهاشمي]	١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم
[الأستاذ محمد طاهر حكيم]	١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل
[الأستاذ حسين أحمد حسون]	١٣ - مولود على الفطرة
[الأستاذ علي محمد مختار]	١٤ - دور المسجد في الإسلام
[الدكتور محمد سالم محسن]	١٥ - تاريخ القرآن الكريم
[الأستاذ محمد محمود فرغلي]	١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام
[الدكتور محمد الصادق عفيفي]	١٧ - حقوق المرأة في الإسلام
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]
[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]	١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها
[الدكتور عبد الستار السعيد]	٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية